نصوص ودراسات
سلسلة يصدرها
المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

٣٧

كتاب

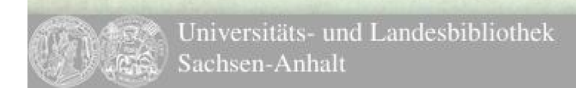
أدب الملوك

في بيان حقائق التصوف

باهتمام
بيرند راتكه



بيروت ١٩٩١
يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر - شتوتكارت



كتاب

أدب الملوك

في بيان حقائق التصوف

باهتمام
بيرند راتكه



بيروت ١٩٩١
يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر - شتوتكارت

طُبع على نفقة وزارة الابحاث العلمية والتكنولوجية التابعة لالمانيا الاتحادية
باشراف المعهد الالماني للابحاث الشرقية في بيروت
في المطبعة الكاثوليكية ش.م.ل.، بيروت – لبنان

المحتويات



(١) بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الثقة ، ربّ تمّم بفضلك وكرمك .

< مقدّمة >

٣

الحمد لله الذي أخلص أهلَ الخالصة للدار ، وأطلعهم على حقائق الأسرار ، وحفظ عليهم أحكام الأذكار ، وأفرّهم عن التعلّق بالأغيار ، ورشّ عليهم رشيش الأنوار ، فنبّههم لحقائق الآثار ، وشرح صدورهم لتوحيد الواحد القهّار ، وأنطق ألسنتهم ٦ بمناجاة العزيز الغفّار ، ثم رسمهم بأهل الولاية والأبرار ، وجعلهم حجّةً على أهل الدار ، واصطفاهم واختارهم بعد الأنبياء – صلوات الله عليهم أجمعين – فخصّهم من البريّة بالاسم الشريف ، والمعنى اللطيف ، وتلك الصِدّيقيّة التي ظهرت معانيها وأحكامها ٩ وشرائعها وحقائقها ، ظاهرها وباطنها ، في القضاء ، الفقراء الموسومين بالتصوّف . والصِدّيقيّة ما ذكرها الله عزّ وجلّ بعد نبوّة النبيّ ﷺ ، فقال : ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ ، والصدّيقيّة اسم لجميع معاني أهل الحقائق من ١٢ المرتسمين بالتصوّف ، فذلك اسم أظهره الله في أمّة أحمد – صلوات الله عليه وسلامه – إذ هو المختار من الأنبياء المنتجَبين من البريّة بأسرها ، المختار أمّته على سائر الأمم < صلّى عليه > أفضل صلاة وأنماها وأقضاها لِما فرض من ذكره وأوجب من حقّه وعلى ١٥ آله الطيّبين الطاهرين وسلّم .

ثمّ إنّي نظرت في سنن أهل العلم وأحكامهم واختلافهم في الرسوم وتفاوت قصدهم ، فرأيت العلم ذا شجون وفنون ، ولكلّ فنّ من ذلك أهل اختصّوا بمعنى من العلوم ، ثم ١٨

---

٩) وتلك : وذلك ص ١١) فأولئك مع : أولئك ص

---

٥) ورش عليهم... ، قارن مسند أحمد بن حنبل ١٧٦/٢ ;van Ess, Zwischen Ḥadīṯ 112 Radtke, Tirmiḏī 71.

١١)–١٢) القرآن الكريم ٦٩/٤ .

إنّهم وإن اختلفوا في القصد وتفرّقوا في الطرق فالحقّ يجمعهم على معنى واحد وأصل واحد ، وكلّ واحد منهم قد تعلّق بفرع يؤدّيه إلى الأصل ، وإنّما اختلاف العلوم من كثرتها وعزازتها لأنّ العلم عزيز يُعَزّ أهله في الدنيا والآخرة ، فمن تعلّق بعزّ الدنيا وركن إليها وإلى بهجة شهواتها صار ذلك ثواب علمه < في > عاجله ، ومن تعلّق بعزّ الآخرة واشتاق إليها وتذلّل في الدنيا وزهد فيها صار ذلك < ثواب علمه في آجله > ، وذلك عزّ لا ينفد ونعيم لا يزول .

ثم لكلّ علم من ذلك حقيقة فمن ... (٢) علمه عليه حجّةً ، ومن تحقّق به صار عَلَمًا في الدنيا والآخرة ، وذلك ثواب علمه وحقيقة تحقيقه .

فأوّل من أبتدئ بهم من أهل العلم **الفقهاء** : وهم أئمّة الدين ، الحاكمون على الدماء والفروج ، المُفْتُون بحقيقة أحكام الله تعالى في خلقه ، اشتغلوا بها وأحكموها وذلك أصلهم ، وفي ذلك مواجيدهم .

ومنهم **أصحاب الحديث** : وهم الثقات في معانيهم ، الحافظون لألفاظ نبيّهم – صلوات الله وسلامه عليه – المؤدّون عنه آثاره ، وهم ورثة الأنبياء – صلوات الله عليهم أجمعين – صحّحوا الشرائع ، وحفظوا الرسوم ، وقيّدوا الأصول ، واشتغلوا بها وأحكموها ، وذلك أصلهم وفي ذلك مواجيدهم .

ومنهم **القرّاء** : تحفّظوا القرآن ، وتعلّقوا بكلام الرحمن ، فدرسوه وعرفوا أحكامه وحروفه وقراءته ووقوفه ولغاته ، واشتغلوا بها وأحكموها ، وذلك أصلهم وفي ذلك مواجيدهم .

ومنهم **المفسّرون** : العارفون بمعاني القرآن وتفسيره ، يعرفون الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، ويُظهرون للناس حقائق خفيّات الآيات ، وبهم ينتفع الناس ، اشتغلوا بها وأحكموها ، وذلك أصلهم وفي ذلك مواجيدهم .

ومنهم **أهل اللغة والآداب والنحو** : قوّموا ألفاظ العلم وعرفوا الاشتقاقات والمعاني ، وصحّحوا الإعراب ، وأخرجوا المعاني ، وجميع أهل العلوم غير مستغنين عنهم لتبيين الرسوم وتحقيق المعاني ، اشتغلوا بذلك وأحكموها ، وذلك أصلهم وفي ذلك مواجيدهم .

فجميع أهل العلوم وإن اجتمعوا في الأصل فقد افترقوا في الرسوم ، ولكلّ واحد منهم نسبة غير < ما > للآخر ، وكان ذلك مُلْكًا وشريعةً وطريقًا إلى الله عزّ وجلّ ، تختلف في

---

٢٦) ملكًا : ملك ص ‖ طريقًا : طريق ص.

الرسوم وتجتمع في المعاني ، تعلّق كلّ واحد منهم بنَسَبِهِ في علمه وانفرد بمعناه عن غيره ، وكلّهم قد خُصّوا بمعنى من العلم دون الآخر ، فصار ذلك سيرته وهو الغالب عليه وذلك مقصده . ٣

ثم رأيت جميع أهل العلوم قد قصّر كلّ واحد منهم عن استعمال علمه ورضي بتعلّمه ودرسه ونسيَ حقائق واجبه .

فرأ<يت>(٣) عامّة الفقهاء تعلّقوا برُخَص العلم ، فجمعوا المال وتعرّضوا للرياسة ٦ واتّبعوا الشهوات ، فرغبوا في الدنيا وغفلوا عن حقائق الفقه ، إذ يقول المصطفى – صلوات الله عليه وسلامه – : إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فقّهه في الدين وزهّده في الدنيا وعرّفه عيوبَ نفسه ، فأبان – صلوات الله عليه وسلامه – أنّ التفقُّهَ تفقُّد عيوب النفس ٩ وتعرُّف حقائق خفيِّها ودقائق أحكامها وأسباب هواها ، وقد رُوي عن الحسن البَصْري – رحمة الله عليه – أنّه قيل له : إنّك لتحدّثنا أشياء ما نسمع من فقهائنا ، فقال : وَيْحَكم وهل رأيتم فقيهًا قطّ ؟ إنّما الفقيه الزاهد عن الدنيا الراغب عن الآخرة البصير بدينه ١٢ الدائم في العبادة المشتاق إلى لقاء الله تعالى .

والعالم عالمان : عالم الدنيا وعالم الآخرة ، فأمّا عالم الدنيا فهو يصير بالقال والقيل ، وأمّا عالم الآخرة فهو من تفكّر في القرآن ، فأحلّ حلاله وحرّم حرامه وعمل بمحكمه ١٥ وآمن بمتشابهه ، وتفكّر في آياته فأسهر ليله وأظمأ نهاره ، واشتاق إلى لقاء ربّه عزّ وجلّ ، فهذه حقائق الفقه تحقّق بها قليل من الفقهاء أو تورّعوا عن غيرها ، فأدّوا حقّ العلم بالإمساك عن الدنيا والرضى بالبُلْغَة ، فأولئك الفقهاء حقًّا ، والباقون علومهم حجّة ١٨ عليهم .

ثم رأيت أصحاب الحديث : رضوا من العلوم بدرسها ، ومن الأحكام بكتبها ، فتعلّقوا بالرواية والدراية والكتب ، حتّى إنّ بعضهم ليجمع كثيرًا من العلم ويكتب كثيرًا ٢١ من الأخبار ، فلا يستعمل من ذلك حديثًا ، قد رضي من نفسه بدرسه وتعلّمه ، وغفل عن استعماله ، فصدّه الشغل بكتب ذلك عن كثير من الفرائض ، وقد قال شعبة : إنّ هذا الحديث يصدّكم عن ذكر الله وعن قراءة القرآن وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون؟ ثم ٢٤ قليل منهم كتبوا العلم فاشتغلوا باستعماله فصاروا أئمّةً في الدين وسِراجًا يستضيء به سائر

---

٨) – ٩) المعجم المفهرس ١٩٠/٥ .

١١) – ١٣) حلية الأولياء ١٤٧/٢ ، اللمع ١٧ ، ١٣ .

الناس ، فأولئك ورثة الأنبياء حقًّا ، والباقون علومهم حجّة عليهم .

ثم رأيت القرّاء تحفّظوا القرآن فتفاخر بعضهم على بعض ، ولم يشتغلوا (٤) بتعرّف معانيه واستعمال ما فيه ، فأكلوا به الدنيا وأحكموا ذلك ليقال : فلان قارئ حسن القراءة ، فزيّنوا أصواتهم بذلك ونادوا في محاريبهم ، ورقّقوا طباعهم للسامعين ، فنالوا بذلك الدنيا ، وطلبوها بقراءة القرآن ، وقد قال النبيّ ﷺ : أكثر منافقي أمّتي قرّاؤها .

ثم قليل منهم تعلّقوا به آناء الليل والنهار ، فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه واشتغلوا بقراءته سرًّا وجهرًا ، فقرؤوا لأنفسهم واستمعوا وأصغوا إلى حقائق ما فيه من الأمر والنهْي والوعد والوعيد ، فأولئك أهل الله وخاصّته ، والباقون القرآن حجّة عليهم ، وخصمهم يوم القيامة .

ثم رأيت المفسّرين العارفين بمعاني القرآن ، تعلّموا ذلك وتوسّلوا إلى السلاطين وأخذوا به عَرَض الدنيا ، فوافقوا أهل الأهواء في المتشابهات ، فلم يظهروا حقائق معاني القرآن خوفًا من فضيحتهم إذ القرآن زاجِرُهم عمّا ارتسموا به .

وقليل منهم زهدوا عن الرياسة فصاروا نفعًا للخليقة ، وبيّنوا حقائق أمر الله عزّ وجلّ ، فصاروا سفراء بين الله وبين الخليقة ، فأولئك العلماء حقًّا ، والباقون القرآن حجّة عليهم ووبال .

ثمّ إنّي رأيت أهل الآداب واللغة والنحو ، تعلّموا ذلك رياءً وإعجابًا ، وتفاخروا ، فطلبوا بذلك الدنيا وتكلّموا في الدقائق وتشدّقوا وتناطحوا ، وقد قال النبيّ ﷺ : شِرار أمّتي الذين يُغذَون بالنعيم ، يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدّقون في الكلام ، وذلك أنّهم اتّخذوا دينهم قياسًا ومعقولاً ، فتأوّلوا الآيات بآرائهم وطلبوا غرائب اللغة ، فغيّروا دين الله عزّ وجلّ ، وأصبحوا – إلاّ قليل ممّن عصم الله – مفتونين ، وبآدابهم ومعقولهم وآرائهم فيما يؤنقهم خائضين ، وعن الطريق الواضح ناكبين ، ولِما وضعه الله عزّ وجلّ عنهم متكلّفين ، وعمّا كلّفهم مُعْرِضين ، فاتّخذ كلّ واحد منهم غلبة معقوله شريعةً ومذهبًا ، واتّخذ رأيه عبوديّةً ، فعبد هواه وما أدرك فهمه ومعقوله ، فصار عن سواء الطريق مائلاً وعن غوامض ما فيه سائلاً (٥) وبما لا يعنيه قائلاً وعن حقيقة الدين والشريعة راحلاً ، فحصل حيرةً في دين الله وتقرّب بمحصوله الفاسد إلى السلاطين ليأكل بذلك الدنيا ويدّعي بها الرياسة ، فصار آدابه ولغاته ونحوه عطبه وهلاكه ، وقليل

٥) المعجم المفهرس ٥٢٦/٦ .

١٦) – ١٨) فيض القدير ١٥٤/٤ ، رقم ٤٨٥٩ .

منهم تعلّموا ذلك ليقوّموا به الألفاظ ويعرفوا به معاني الأخبار ، فصاروا عَلَمًا في الدين ، يأوي إليهم جميع أهل العلوم لتحقيق علومهم وتصحيح ألفاظهم ، ثم الباقون منهم في رَيْبهم يتردّدون وفي طغيانهم يعمهون. ٣

فهذه سيرة جماعة أهل العلم وأحكامهم وحقائقهم وظاهرهم ، قد افترقوا في الرسوم ، وكلّ واحد منهم قد تعلّق بظاهر من العلم وغفل عن حقائقه ، ألا ترى أنّهم انفردوا عن العامّة بما أظهروا من العلوم ، وأشاروا إليه من الفهوم ، واختصّوا من بين الناس ٦ بخصوصيّة العلم ، وكلّ ذلك من علامة المباينة عن العامّة لتحقيق العلم وعزّه وأحكامه.

ثم إنّي رأيتهم وقد وافقوا العامّة في طعامهم ولباسهم واتّباع شهواتهم وجلوسهم وكلامهم ورغبتهم وتفاخرهم وجميع أحكامهم ، بل زادوا عليهم في المعاني والأحكام ، ٩ فتنعّموا في الدنيا ، وجمعوا المال ، وأكلوا الحرام ، وكلّ ذلك بالرُخَص والتأويلات المفسّرات بآرائهم ، وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: لا تجلسوا عند كلّ عالم ، إلاّ من يدعوكم من الرغبة إلى الرهبة ، ومن الشكّ إلى ١٢ اليقين ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن العداوة إلى النصيحة ، فكيف لا يهلك من نظر إلى رغبته وجمع ماله وهو عالم في زعمه؟ وكيف يُقبَل منه علمه وهو يزهّد عن الدنيا ولا يزْهَد هو؟ ويرغّب في الآخرة ولا يرغب هو؟ وقد روي عن ١٥ عِكْرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال : يكون في آخر الزمان علماء يزهّدون في الدنيا ولا يزهدون ، ويرغّبون في الآخرة ولا يرغبون ، يقرّبون الأغنياء ويُبعدون الفقراء ، ويقبضون عند الحقراء ويبسطون عند الكبراء : أولئك الجبّارون أعداء الرحمن. ١٨

(٦) وقد كان العلماء بخلافهم قبل ذلك : زاهدين راغبين معاملين لله عزّ وجلّ محزونين مغمومين متفكّرين مشغولين آناء الليل والنهار بحقيقة رعاية العلم واستعماله ، وقد روي عن الحسن أنّه قال : إنّ الرجل كان ليطلب العلم ثم لم يلبث أن يُرَى ذلك في ٢١ تخشّعه وبصره ولسانه ويده وزهده.

ثم إنّي رأيت علماء العصر ونظرت إلى رسومهم وأحكامهم فرأيت ظواهرهم مخالفة للأثر ، فأوّل ذلك نظرت إلى لباسهم ، فكان مخالفًا للسنّة من طول الأكمام والذيول ورقّة ٢٤ الثياب كأنّه لباس الخُيَلاء ، وقد قال الفُضَيل بن عياض – رحمة الله عليه – : لَكثير من علمائكم زيّه أشبه بزيّ كسرى وقيصر.

---

٢٤) للأثر : الأثر ص.

ثم إنّي رأيت طعامهم من شتات الألوان، ورأيت جلوسهم مع الأغنياء لطلب الرياسة، ورأيت إعراضهم عن الفقراء، ورأيت سعيَهم في طلب الدنيا الدنيّة وشهواتها ٣ الرديّة، ورأيت غلبات أوقاتهم جمعَ المال والغضّ عن شبهاتها، فلمّا رأيت ذلك تفقّدت كثيرًا من أحكامهم وأسبابهم، فرأيتها مخالفةً للعلم من الرغبة في الدنيا وحبّها وجمعها، وقد قيل في الخبر: حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.

٦ وقليل من علماء العصر تعلّقوا بالعلم وأحكموه واشتغلوا باستعماله وتورّعوا عن الشبهات ورضوا بالبُلْغَة وتمسّكوا بالسُنَّة، فلزموا الزوايا من الأرض، والأطوار من البلاد، فباعدوا الأغنياء وقرّبوا الفقراء وواصلوهم لغربتهم وغربة أهل الحقّ في الوقت والزمن، فهم بقيّة ٩ العلماء وهم قليلون، وسائرهم ممّن يدّعون كثيرًا من العلوم، اشتغلوا بالحفظ والرسم، فتقرّبوا به إلى السلاطين، فأكلوا بذلك الحرام، فصار سبب هلاكهم حبّ الدنيا والرياسة، فنظرت فإذا جميع آفات العلماء من ذلك.

١٢ ثم إنّي جمعت فهمي ومددت طَرْفي وميّزت بعلمي وفهمي واجتهدت في استنباطي وقايست بعقلي، وقابلت الكتاب والسنّة على مبلغ علمي فلم أرَ أقوامًا أمسك بالسنّة ظاهرًا وباطنًا وسِرًّا وجهرًا وعقدًا ونيّةً واستعمالاً من العصابة المترسِّمة باسم التصوُّف، ١٥ فتحقّقت (٧) جميع أحكامهم، ظاهرهم وباطنهم، فوجدت جميع ذلك موافقًا للكتاب والسنّة، وذلك لأهل الحقيقة منهم الذين استحقّوا الاسم الشريف والمعنى اللطيف، وسأبيّن حقائقهم من الكتاب والسنّة، والله الموفّق للصواب وإليه المرجع ١٨ والمآب.

ثم لمّا رأيت سائر أهل المذاهب من أهل العلوم من الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل القرآن والآداب قد سُئلوا عن أقاويلهم في أصولهم وحجّتهم فيما أقاموا على ٢١ اعتقاده، فاحتجّ كلّ واحد منهم عن أصله، وأبان عن طريقه ومقصده، فرأيت العصابة المرتسمة بالتصوّف، متنقّصين مذمومين، جاهلين عند أهل النظر وأكثر الناس، لِما لم يظهر فيهم من أحوالهم، وخفي عنهم من حقائق أسرارهم، وحُجب عنهم من ٢٤ ظواهر آثارهم، رسمت كتابي هذا، فبيّنت فيه أصول القوم ورسومهم وأحكامهم وحقائقهم ورعايتهم وإشاراتهم وجميع أسبابهم الموافقة لسنّة نبيّهم ﷺ، وترجمته

٤) مخالفة: مخالفًا ص ١٢) طرفي: بطرفي ص.

بأَدَبِ المُلوكِ، لأنّ الصوفيّة زهدوا عن جميع أسباب الدنيا فصاروا ملوكًا، واستراحوا وطابت قلوبهم ونفوسهم، وكيف لا يستحقّون اسم المُلوكيّة وليس لهم هِمّة غير الله عزّ وجلّ، قد رضوا من الدنيا بالدُّون فتراهم شُعْثًا وغُبْرًا تُشهَد البذاذة في ظواهرهم كأنّهم ٣ مجانين وقد خولطوا، ولقد خالط القوم أمرٌ عجيب وما هم بمجانين، فلقد كان لهم في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة حين يقول – عليه الصلاة والسلام –: من سأل عنّي وسرّه أن ينظر إليّ فلينظر إلى أَشعثَ شاحبٍ مشمّر لم يضع لَبنةً على لبنة، ولا قَصَبةً على ٦ قصبة، رُفع له عَلَم فشَمّر إليه اليوم المِضْمار وغدًا السَبْقُ، والغايةُ الجَنَّةُ والنار، قال: وحدّثنا بذلك أبو بكر بن حصان، حدّثنا إبراهيم.

وكيف لا يكونون ممدوحين وقد نزعوا ثياب الخُيَلاء، وقطعوا عن قلوبهم مشاغيل ٩ الدنيا وأَمِنوا من آفاتها وغوائِلها، وخرجوا من رقّها، فتعلّق أهل الدنيا بالدنيا – فجانبوا – (٨) وباللهو والافتخار والرياسة – فمالوا عنها وتعلّقوا بحقائق الأمور واشتغلوا بها، فهم لا يشتغلون إلاّ بالحقّ، ولا يخافون إلاّ من الحقّ، ولا يرجون غيره، قد ١٢ استراحت نفوسهم ورُوِّحت قلوبهم، فصاروا ملوكًا في الدنيا والآخرة لأنّهم أحرار عن جميع الأشياء لا يعبدون شيئًا غير الله ولا يخضعون إلاّ له، فالأشياء كلّها لهم وهم بائنون عنها، تقبل الدنيا عليهم وهم عنها مُعْرِضون، ويخدم غيرهم الدنيا وهم ١٥ مخدومون، ولقد أُوحِيَ إلى الدنيا أن: اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك، فهم قوم الفقر زينتهم، والصبر جِلبابهم، والرضا مطيّتهم، والتوكّل شأنهم، والله وحده جلّ جلاله حسبهم. قد تأدّبوا بالسنّة، وقاموا في السريرة بالخدمة، لحفظ حقائق ١٨ الحرمة، فصاروا ملوكًا في الدارَين وملوكًا في المنزلَين وملوكًا في الجنّة.

ولقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: إنّ ملوكَ الجنّة كلّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمرين لا يؤبَه له لو أقسم على الله لأبرّه. ٢١

فهذا وصف القوم، والملوكيّة تُشهَد على جميع حركاتهم ومن حقائق ملوكيّة الصوفيّة أنّهم وافقوا الله عزّ وجلّ في بغض الدنيا، وجذبوا أنفسهم عن رقّها، وبذلوا لله عزّ وجلّ المهج، فلم يجدوا في جنب الله عزّ وجلّ لأنفسهم مقدارًا، وحفظوا لله عزّ وجلّ ما ٢٤

---

٢) يستحقون: يستحقوا ص ١٦) مخدومون: مخدومين ص.

---

٢٠ – ٢١) المعجم المفهرس ١٣٤/٣.

في الطويّة أسرارًا ، ولقد تُحقّق الملوكيّة فيهم لأنّهم لا يسمعون إلاّ بالله ، ولا ينظرون إلاّ بالله ، ولا يبطشون إلاّ بالله ، ولا يتحرّكون إلاّ بالله ، وقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال :
٣ إنّ الله عزّ وجلّ قال : ما زال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحببته ، فإذا أحببته كنتُ له سمعًا وبصرًا ويدًا ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ، فهذه حقيقة أهل المحبّة وأحكام الصوفيّة في حركاتهم ، ثم أحوالهم تعلو عن الوصف ، وإشارتهم تعلو عن النعت ، قد
٦ استوحشوا من جميع ما استعبد أهل الغِرَّة ، واستأنسوا بالله عزّ وجلّ ، فإن خافوا (٩) خافوا الله ، وإن رجَوا رجوا الله تعالى ، وإن افتقروا افتقروا إلى الله تعالى ، وإن استغنوا استغنوا بالله عزّ وجلّ ، وإن تعلّقوا تعلّقوا بالله وحده ، فخالفوا في جميع أحكامهم أهل
٩ الدنيا ، فأولئك الملوك حقًّا ، وكيف لا يقع عليهم اسم الملوكيّة وقد سمّى الله عزّ وجلّ أقوامًا ملوكًا ببعض ما وهب لهم من زينة الدنيا ونَعمائها ، فقال عزّ وجلّ ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ، ولقد وهب الله عزّ وجلّ للصوفيّة وأهل
١٢ الحقيقة من نعيم السرّ ورَوْح القلب ما استغنوا به عن جميع الأملاك.

ولقد حُكي عن إبراهيم بن أدهم أنّه قال : مساكين ملوك الدنيا لو علموا ما نحن فيه لقاتلونا. وقد قال بعض الحكماء : إزهد في الدنيا تكن مَلِكًا ، فازهد في الآخرة تكن
١٥ ملكًا متوّجًا. فالملوكيّة في الدنيا شرط الزهد فيها ، وجميع ما زهدتَ فيها فأنت أميرها ومالكها ، وقد رُوي أيضًا في الخبر أنّ الله عزّ وجلّ يقول لجنّة عدن : طُوبَى لكِ منازل الملوك ، يعني : منازل الزهّاد والأسخياء.

١٨ فهذا حقيقة أحوال الملوكيّة شرحتها بحقائق أهل الأدب من الملوك وهم الصوفيّة الذين تأدّبوا بالسنّة ليصلحوا حقيقة الخدمة ، وسأشرح ما اجتمعت عليه الصوفيّة في الأصول والفروع بمشاهدة الآيات والآثار البيّنات ، فإنّهم أقوام استعملوا بالجهد والجدّ ظاهر
٢١ العلوم من الفرائض ، فأورثهم الله عزّ وجلّ علمًا من غير تعلّم وهُدًى بغير هداية وعلامة لحقيقة الولاية ، وبذلك عرفوا جميع أسباب الولاية ، وتقرّبوا إلى الله عزّ وجلّ بالنوافل بحقيقة الطوية ، وصبروا على المكاره بمخالفة النفوس ، فأقامهم الله تعالى على شرائع دينه
٢٤ وأعمل جوارحهم بالطاعات وزيّنهم بالعلم وفقّههم في الدين وعرّفهم معايبَ النفوس ، ثم أدّبهم للخدمة لأداء حقيقة الحرمة ، فتشمّروا عن الأسباب الشاغلة ، والعلائق القاطعة ،

---

٣ – ٤) المعجم المفهرس ٦/٥٢٩.
١٠ – ١١) القرآن الكريم ٥/٢٠.

وانفردوا بالعلم السنيّ ، والعيش الهنيّ ، فهم بذكره يتنعّمون ، وبفضله (١٠) يفرحون ، قد رضوا من الدنيا بالقِلّة ، وجعلوا الأسباب كلّها علّة ، وترسّموا بحكم الذلّة ، وتعزّزوا بالله عزّ وجلّ ، إن نطقوا نطقوا بالعلم ، وإن سكتوا سكتوا بالعلم ، وإن جلسوا جلسوا ٣
بالعلم ، وإن قاموا قاموا بالعلم ، وإن لبسوا لبسوا بالعلم ، وإن أكلوا أكلوا بالعلم ، وإن تنافروا تنافروا بالعلم ، وإن اجتمعوا اجتمعوا بالعلم وللعلم ، وإن تفرّقوا تفرّقوا بالعلم ، ثم سائر أخلاقهم ورسومهم موافقة للعلم ، قد شغلوا جميع جوارحهم بموافقة السنّة ، فهم ٦
أشبه الناس بالأثر ، بل هم أهل الأثر ، لأنّ جميع أحكام أسرارهم موافقة لِما وصف الله عزّ وجلّ به المؤمنين المخلصين في عزيز كتابه ، لأنّهم أهل القلوب الذين يعرفون أحكامها ومواريدها وخطراتها ووساوسها ولحظاتها وإشاراتها وخفيّات سرائرها ، ويعرفون ٩
اختلاف الورود بمشاهدة الوجود ، فيفرّقون بنور المشاهدة بين إلهام الحقّ ووسوسة الشيطان ، وهواجس النفوس ، ثم يعرفون أحكام الدنيا باللحظات ، وأحكام الآخرة بالخطرات ، وأحكام الحقّ بالإشارات ، وكلّ ذلك ممّا سبق إلى أسرارهم من الهداية ، ١٢
فبنور الهداية عرفوا تفريق مواريد الأسرار.

وقد خصّ الله عزّ وجلّ الصوفيّة بمعنى لم يخصّ به غيرهم ، وذلك أنّ الصوفيّة معروفة بأحوال القلوب وأنّهم أصحاب القلوب ، وقال عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ١٥
لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ...﴾ ، أسرارهم وعلوّ أحكامهم.

ثم الصوفيّة ارتسموا باسم مخصوص مفرد عن الأسامي ، ومن حقائقهم أنّهم أحكموا ظواهر العلوم واشتغلوا باستعمالها طول الليالي وبرهة الزمان ، فما زالوا بالإخلاص يرتفعون ١٨
في الدرجات والمقامات بتوفيق الله تعالى حتّى عرفوا بحقيقة المعرفة خفيّات طويّات النفوس وقطعوا علائق هواجسها ، وذكروا حقائق الجبروت عند إبداء أواجسها ، وتفرّدوا حقيقةً من شهيّ (١١) ملاذّ حظّها ، فأفناهم حقيقة مشاهدة الحقّ عن جميع ٢١
المرسومات ، ورجعوا إلى الله عزّ وجلّ خالين عمّا سواه ، لا يؤثرون غيره ولا يختارون عليه ، وكيف لا يكونون مخصوصين ولم يتركوا بينهم وبين الله سببًا إلاّ قطعوه ، ولا شغلاً إلاّ رفعوه ، انفردوا بوَجْدِهم وأقاموا على حقيقة علمهم ، فهم أهل تجريد التوحيد ، ٢٤

٧) موافقة : موافق ص ٩) و ١٣) مواريد : كذا ، والصحيح : موارد ٢٠) أواجسها : كذا
٢٢) خالين : خالية ص ٢٣) يكونون : يكونوا ص.

١٥) – ١٦) القرآن الكريم ٣٧/٥٠.

الذين أشاروا إلى الحقّ بتجريد الهمّ والفناء عن الرسم ، وآثروا الله على ما سواه، وقد روي عن مجاهد أنّه قال : إذا وَفَد أهل الجنّة إلى الله عزّ وجلّ وجدوا عنده أقوامًا على ٣ الكراسي قد سبقوهم ، فيقيمون أهل الجنّة ما أذن الله لهم ، ثم ينقلبون إلى ما أعدّ الله عزّ وجل لهم ثم يعودون ثانيًا فيجدونهم على حالتهم ، فلا يدرون أمقيمين كانوا أم غير ذلك ، فكلّما عادوا وجدوهم على حالهم ، فقيل لمجاهد : أشهداء هؤلاء؟ قال : هؤلاء ٦ أهل أَثَرة الله على ما سواه.

فالصوفيّة – صادِقُهم وكاذبهم – يدّعون حقيقة التوحيد وترك الأسباب والانفراد عن الأشياء ، فأهل الحقائق تتبع دعاويهم حقائق وصفيّة من الاجتهاد واشتغال الجوارح ٩ بالطاعات وترك الشهوات وقطع العلائق والزهد في الدنيا والتورّع عن جميع الحظوظ في الدنيا ، فويل للمدّعين الذين يشيرون إلى حقيقة التجريد ولهم اختيار والتذاذ بنفوس قائمة وأهواء بارزة ، وحرام على من يشير إلى التصوّف أن يسكن تحت خواطر الغيريّات ، ١٢ ويعقد قلبه غير حبّ البريّات ، إلاّ أنّه لا بدّ من الخواطر والوساوس الجارية والبشريّة الموجودة ، ولكن الركون إلى غير الله مع الله شرك ، وقال أبو سعيد الخرّاز : لكلّ إنسان سبب مع الله تعالى ما خلا الصوفيّة ، فإنّهم متعلّقون بمولاهم في جميع أحكامهم ، وإنّما ١٥ ذلك حقائق أسرارهم لا يظهرونه إلاّ في وقت الغلبات ، وليس للغلبة حكم لأنّ ذلك وقت الحقّ عزّ وجلّ ، فيُظهر من أوليائه ما يشاء ، فمن نطق بذلك بالتمييز والمعقول فإنّما ذلك دعوى بلا حقيقة ، ونُطق من حقيقة النفسيّة **(١٢)** وتمنّي الإنسانيّة ، قال الله عزّ ١٨ وجلّ : ﴿ءآللّهُ أَذِنَ لَكُم أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ ، والصوفيّة إنما ... على غيرها من الناس والصالحين بالقلب وأحكامه لأنّ الصوفيّة اجتمعوا على معنى واحد ، ثم افترقوا في الحقائق ورجعوا إلى الحقّ عزّ وجلّ من ثلاثة أوجه ، كلّ ذلك مراجعة القلب بالمعنى... المراد ٢١ منه ، وهم ثلاث طبقات : لمّا جاوزوا حدود الرياضات وعرفوا حقائق الواردات ... وإن سمعوا أهل القلوب والإشارات ، فالطبقة الأولى رجعوا إلى الله عزّ وجلّ بالعلم... أنابوا وأذعنوا لحقيقة الحقّ وأعرضوا بقلوبهم عن جميع الأشياء بحقيقة الصبر... النفوس ٢٤ والجهد والطاقة ، فهم راجعون إلى الله عزّ وجلّ بحقيقة الخشية وغيب المشا ... قال الله

---

٢٢) الأولى : الأول ص.

---

١٨) القرآن الكريم ١٠/٥٩.

عزّ وجلّ : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنيبٍ﴾ ، وذلك القلب الخالي عمّا سـ... أناب إلى الله عزّ وجلّ بقلب سليم ليس فيه شيء غير الله عزّ وجلّ.

وأمّا الطبقة الثا... رجعوا إلى الله عزّ وجلّ بالحقيقة والوَجْد ونسيان ذكر الدارين ٣
ورفع البصر والنصر... والطاقة فأحرق نورُ وجودهم جميعَ موسومات النفوس وأفنى جميع الآثار وال... ، فبقي القلب مفردًا بلا علاقة ، فهم راجعون إلى الله بتجريد القلب وتفريد الهمّ بحـ... التوحيد ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ ٦
قَلْبٌ﴾ ، فأولئك أهل القلوب خا... بهم شيء ، وهم أهل التوحيد المخصوص بذلك.

فأمّا الطبقة الثالثة فقوم و... الحقيقة فأسرهم الحقّ هناك فلا يقدرون الرجوع ، لأنّهم شهدوا عين الحقيقة بإفناء... وإفناء الكلّ وذلك أنّ الحقّ عزّ وجلّ أظهرهم معنىً فأفنى ٩
القلب والسمع وما بقي غـ... فهم يشهدون المعنى بلا قلب يوصَف ولا سمع يُنعت ، شهدواالحقّ بفناء... قال الله عزّ وجلّ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيْدٌ﴾ ، فذلك حقيقة تجريد التوحيد ، فما هنا... سمع معلوم ، بل ذلك حقيقة مراد الحقّ جلّ جلاله ، سلبهم ١٢
عن جميع المرسومات... (١٣) لمعلومات فهم في أسرة الحقّ محبوسون ، وفي وثاق الحقيقة مقيّدون ، وعن رؤية الخليقة مستورون ، يخرجون يوم القيامة على الناس أُمَناءَ الحفظ ، وليس حقيقة ذلك اقتداءً ولا تلقينًا ولا تجربة ، لأنّ الاقتداء بالوجد شرك ١٥
والتجربة في طريق الحقّ كفر ، وما هناك إلاّ العجز ، وقد قال الشِّبْلي : العجز عن درك الإدراك إدراك ، والمشي في طرق الأخيار بالاختيار إشراك ، وكثير من المرتسمين بالتصوّف هلكوا في الاقتداء بالوَجْد ، فإنّ الشِّبْلي كان يقول في غلبة وجده : يا قوم ١٨
حَرام على من خطر بباله الجنّة فحضر في مجلسي ! وإنّما قال ذلك من غلبة قلبه < و >غَيْرَة سِرّه وحقيقة وَجْده فمن اقتدى به وقال مقالته على رسم السماع بشاهد النفوسيّة ، وتمييز الإنسانيّة ، فقد حرّم ما أحلّ الله عزّ وجلّ ، وقوله شرك ، وقد تعرّض ٢١
للهلاك ، وإنّما القدوة بالعلم ، فأمّا الوجد فلا يقوم مقام الاقتداء ، والعلم قدوة ، وبالعلم يُقيَّد على الجهد والطاقة وحمل المشقّة والجدّ والرياضة والاستعمال بحقيقة الإخلاص

---

١٥) الحفظ : لحفظ ص ‖ تلقينًا : تلقين ص.

---

١) القرآن الكريم ٣٣/٥٠ ٦) – ٧) القرآن الكريم ٣٧/٥٠.
١١) القرآن الكريم ٣٧/٥٠
١٦) – ١٧) طبقات الصوفية (انصاري) ٨٩ ، –٢ ، منسوب إلى أبي محمد الجريري.

فيه ... الله عزّ وجلّ يخصّ بالوجد من يشاء، ومن حقيقة الوجد أن لا يترك صاحبه على حالته و... وطبعه قبل وجده، لأنّ الوَجْد مُغَيِّر، وكلّ وَجْد لا يُغَيِّر صاحبه ولا ينقله
٣ من حالته لازدياد في الظاهر من أعمال الطاعات، فليس ذلك بحقيقة، لأنّ الوجد يغيّر الأسرار... الجوارح من غلبة السرّ بالطاعات والأعمال، وحقيقة الصوفيّة لا يُدرَك بالعلوم لأنّ ذلك... تتبعها اكتساب وأصل ذلك ما اجتمعت عليه الصوفيّة في أصل المذهب
٦ وسأُبيّن... إن شاء الله.

اجتمعت الصوفيّة على الزهد والرغبة فيما عند الله ومجاهدة النفوس والإخلاص في العمل والصدق في السريرة... إلى ذلك طلب مَرضاة الله تعالى والخوف من سخطه،
٩ وإنّ بلاغها بالتجنّب عن محارمه... <م>عاصيه والقيام بفرائضه والصبر على حكمه والرضا بقضائه والتوكّل عليه في جميع (١٤) أحواله والاستسلام له في جميع أحكامه. ثم حقيقة ذلك ترك الاختيار والثبات عند اختيار الحقّ ليكون الحقّ مختارًا له على جميع
١٢ الأشياء، فهذا اجتماعهم في أصل الشريعة والمذهب، ولكلّ ذلك حقيقة بموافقة الكتاب والسنّة.

(١)
باب
ما بُنِيَ عليه أساس التصوّف ١٥

فأوّل ما بُني عليه أساس التصوّف من حيث العلم والطلب والتمييز وما يتبع الهداية بعد ظهور الولاية من ظاهر الأحكام، فذلك أنّ الله عزّ وجلّ خصّ نبيّه ﷺ بالفقر، وأبان
١٨ شرفه فقال عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقال عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾، قالوا: على الفقر، ويروى عن ابن عبّاس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى
٢١ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، قال: نزلت في الفقراء خاصةً، فقالوا لابن عبّاس:

١٧) فذلك: وذلك ص.

١٨) – ١٩) القرآن الكريم ٢٨/٨٣.
١٩) القرآن الكريم ٢٥/٧٥.
٢٠) – ٢١) القرآن الكريم ٣٩/١٠.

زيّنت الفقراء؟ فقال: كذلك قال النبيّ ﷺ: الفقر أزيَنُ على المؤمن من العِذَار الجيّد على خدّ الفرس، ورُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: أوّل تحفة المؤمن الفقر، وشرف الفقر لا يعدّ، والفقر مطيّة الأنبياء والصدّيقين والأبرار، وما أبلى الله عزّ وجلّ به الأخيار وزيّن به الأولياء والأبرار، وذلك ما تكلّم فيه الصوفيّة وفي معانيها ورسومها، وهو ذلّ النفوس وموتها ثم عزّها وحياتها، وللصوفيّة في الفقر إشارات وأحكام، واسم الفقر يجمعهم والأحوال فيه يفرّقهم، والمراد فيه يباينهم.

فأمّا الأصل في موافقة السنّة فذلك ما اختاره خير خلق الله محمّد ﷺ وأقام عليه وآثره على الحالات، ثم الصدّيق أبو بكر رضي الله عنه سيّد الصدّيقين حيث تشمّر وتجرّد وتخلّل بالعباء وقعد على رسم التجريد، فما ترك لنفسه إيواءً غير الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، ثم على أثره عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ذهب على سنّته وسيرة صاحبه، ثم في اختيار النبيّ ﷺ وأمر الله عزّ وجلّ له في موافقة مراد: ﴿الَّذِيْنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ شرف الكلّ من الفقراء، والصوفيّة (١٥) وافقوا السنّة بالفقر لموافقة أصحاب الصُّفَّة، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ عاتب نبيّه ﷺ في أقوام تعلّق بهم حقائق الفقر من البذاذة والعري وتغيّر الريح والجوع وهم جماعة أهل الصُّفَّة، لبسوا الصوف فعمل فيهم الحرّ فوُجد منهم رائحة العَرَق، وسأل أشراف قريش النبيّ ﷺ أن يُفْرِد لهم مجلسًا خاليًا منهم، فضمِن النبيّ ﷺ ذلك منهم، فدعا بالكتف ليكتب لهم العهد على ذلك لحرصه على إسلامهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

فأوّل موافقة الصوفيّة الفقرُ، وحقّقوا ذلك في أصولهم واختاروه أصلاً ومذهبًا، ثم تكلّموا في حقائقه، لأنّ الفقر ظاهر الاسم، وحقيقة الفقر والغنى: يفترقان في الاسم ويجتمعان في المعنى فالفقر فقر القلب والغنى غنى القلب، لأنّ النبيّ ﷺ قال لأبي الدَّرْداء: أترى أنّ كثرة المال هي الغني؟ قال: نعم يا رسول الله هي الغنى! قال: وترى أنّ قلّة المال هي الفقر؟ قال: نعم، هي الفقر يا رسول الله! قال ﷺ: ليس كذلك: إنّما الغنى غَنى القلب والفقر فقر القلب.

ثم الفقر اسم يشتمل على معانٍ كثيرة، وللصوفيّة في ذلك إشارات ومقامات

---

١١) – ١٢) القرآن الكريم ٥٢/٦.
١٧) – ١٨) القرآن الكريم ٥٢/٦.

واختيارات ، فمنهم من اختار الفقر لثَواب الفقر ، ومنهم من اختاره لموافقة السُّنَّة ، ومنهم من اختاره لاختيار الله به وأنبيائه وأصفيائه ، ومنهم من اختاره لراحة قلبه وفراغ سرّه

٣ وخفّة حسابه ، ولهم في ذلك إيثار واختيار ومراد ، وجميع ذلك أحوال الفقر الظاهر ، واختيار الظاهر توصّل إلى حقيقة الفقر الخاصّ ، فأمّا الفقر في ذاته فالتعلّق بالله عزّ وجلّ بترك ما دونه ، وجميع ما تعلّق به الفقير دون الله عزّ وجلّ فهو فقيرُ ذلك ، وليس

٦ كلّ من ظهر عليه البذاذة والرِّثَّة والضِيق وقِلَّة الشيء استحقّ له خالص الفقر ، لأنّ الفقر سرّ يبدو من الله عزّ وجلّ على الأسرار ، فيغيّر عليه الحقيقةَ على الظاهر من تفريد الطويّة بحقيقة المعنى ، فيقطع صاحبه عن جميع الأسباب الشاغلة ويُوحشه من غرور

٩ (١٦) الدنيا الفانية ، ألا ترى أنّ النبيّ ﷺ في حقيقة سرّ الفقر مُنِعَ اللحظة فلم يَدَعْه الحقّ سبحانه وتعالى أن ينظر نظرةً إلى زينة الدنيا ، وكان عينه ﷺ أعزّ عين تنظر بالعبرة ، فمنعه الله عزّ وجلّ عن ذلك ، زجرًا لأهل خالص الفقر ومنعًا لهم من أن ينظروا

١٢ إلى ما أبغضه الله تعالى ، وأن تؤثِّر عليهم زهراتها ، فيخرجوا من خالص الفقر بمقداره ، فأمّا النبيّ ﷺ فكان معصومًا محفوظًا : قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، ثم قال: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ

١٥ وَأَبْقَى﴾ ، ورزق الله عزّ وجلّ ما هداه من نعيم حقائق الفقر حتى نسيَ في جنبه جميع عوارض الدنيا ، ولقد كان للنبيّ ﷺ من حقائق ذلك ما ردّ به مفاتيح خزائن الدنيا ، فاختار الفقر والمسكنة والجوع ، فقال ﷺ : أجوع يومين وأشبع يومًا ، فهذا اختيار النبيّ

١٨ ﷺ خير خلق الله تعالى باختيار الحقّ له ، فلا ريب أنّ الفقر اختيارُ الله عزّ وجلّ له ، وإنّما اختار الفقر لِمَا قد سبق له من الله عزّ وجلّ من حقيقة الفقر .

ثم المعنى الثاني من الفقر ما استعاذ منه رسول الله ﷺ فقال : اللهُمَّ إنّي أعوذ بك

٢١ من الفقر ، وذلك فقر القلب والجوارح إلى ما سوى الله ، وبيان ذلك أنّ النبيّ ﷺ كان لا شكَّ مستجابَ الدعوة ، وكان يستعيذ من الفقر ، وكان عيشه في الفقر ، وكانت أوقاته

---

١٣) فكان : كان ص ١٦) للنبي : النبي ص ٢٢) وكانت : وكان ص .

---

١٣) – ١٤) القرآن الكريم ١٣١/٢٠ .
١٧) المعجم المفهرس ٥٩/٣ .
٢٠) – ٢١) المعجم المفهرس ١٨٦/٥ .

مراعاة للفقر ، وكان سؤاله حقيقة الفقر والحشر مع الفقر ، ولو كان حقيقة الفقر ما استعاذ منه لما كان يجوع يومين ويشبع يومًا ، ولما خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز بُرّ .

٣ فالفقر المذموم قد فسّره النبيّ ﷺ بقوله ﷺ : اللهم إنّي أعوذ بك من فقر يُنْسي ، وقال ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفرًا ، وقال ﷺ في حقيقة الفقر فما روى فضَالَة بن عُبَيْد ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلّى بالناس يخرّ رجال من قيامهم من ٦ الخصاصة ، وهم أهل الصُّفَّة ، حتى يقول الأعراب : إنّ هؤلاء مجانين ! فإذا قضى رسول الله ﷺ صلاته (١٧) انصرف إليهم فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا حاجةً وفاقة ، قال فَضالة بن عبيد : وأنا مع رسول الله ﷺ .

٩ فالفقر الخالص سرّ من أسرار الله عزّ وجلّ يودعه عند من لا يخونه ، وافتراق ظاهر الفقر وتشتّت معانيه لا يُحصَى ، ومحصول أصله على أقسام ثلاثة : فقير النفس ، وهو لا يستغني أبدًا ، وفقير الأشياء وهو يستغني بوجودها ، وفقير الحقّ وهو الفقير الخالص ، ١٢ فالصوفيّة اختاروا الفقر لِمَا وجدوا من ثوابه في الظاهر ، ووافقوا فيه النبيّ ﷺ وأصحابه وتعلّقوا به ليَعِزّوا بذلك في الآخرة ، وإن تذلّلوا في الدنيا ، فتركوا أهل الدنيا ووافقوا السنّة واحتملوا المكاره والبليّة حتى رجعوا إلى الله عزّ وجلّ معرضين عن جميع علائق الدنيا ، ١٥ وحقيقة ذلك أنّهم خرجوا من الدنيا كما دخلوها ، وقد قال الشبلي رحمة الله عليه حين سئل عن حقيقة الفقر ، فقال : أن لا يُرى في الدارين مع الله غير الله تعالى ، فهذا حقيقة الصوفيّة وأحكامهم ، فمن كان بخلاف ذلك لم يستحقّ حقيقة الاسم ، وحُكي ١٨ عن بعض الحكماء أنّه قال : من تعلّق بما تحت العرش فليس بصوفيّ ، فكيف من تعلّق بالدنيا وأسبابها واختار زينتها وبهجتها ؟ فحقيقة نعت الصوفيّة ما ذكرتُه ، فمن كان بخلاف ذلك فليس بصوفيّ ، وإن ادَّعَى ذلك فدعواه باطل وزُور .

---

٢٠) ادعى : الدعى ص ، تحريف .

---

٥) – ٨) كتاب الأربعين لأبي نعيم ٥١آ ، ١١ .

(٢)
باب
حقائق الصوفيّة

٣ فأمّا حقيقة الصوفيّة فالزهد، وله ظاهر وباطن وحقيقة، فظاهر الزهد الإعراض عن الدنيا ولذّاتها والاجتناب عن غوائلها وأسبابها، وباطن الزهد إفراد الهمّة وتجريد القلب والزهد فيما يشغل عن الله تعالى، فالصوفيّة اختاروا الزهد إذْ أعْلَمَ اللهُ عزّ وجلّ
٦ الخلقَ أنّ الدنيا لعب ولهو، فقال عزّ وجلّ: ﴿إنّما الحَياةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَينَكُم وَتَكاثُرٌ فِي الأموالِ والأَولادِ﴾، فدلّ ذلك على ذمّ الدنيا والراغبين فيها، والدليل على ذمّه في آخر الآية ما ضربه لها مثلاً، فقال عزّ وجلّ: ﴿كَمثَلِ غَيْثٍ
٩ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، فذمّ الراغبين فيها، (١٨) والزهد ضدّ الرغبة فاستوجب الزاهد فيها المدحة، فمن زَهِدَ في الدنيا عمل للآخرة، فحَرْثُ الآخرة بالزهد في الدنيا، وحرث الدنيا بالزهد
١٢ في الآخرة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾، فلو لم يكن في ذمّ الراغبين في الدنيا غير هذه الآية لكفى بها، وقد حذّر النبيّ ﷺ من الدنيا بقوله ﷺ:
١٥ احذَروا هذه السَّحّارَة، فهيَ أسحر من هاروتَ وماروتَ، قد قال النبيّ ﷺ: لا تتّخذوا الضَّيْعَة فترغبوا في الدنيا، ويروى عن أبي موسى الأشعري عن النبيّ ﷺ أنّه قال: مَنْ أحبَّ دنياه أُضِرّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرتَه أُضِرّ بدنياه، فآثِروا ما يبقَى على
١٨ ما يفنَى! وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال النبيّ ﷺ: من أُشرِبَ قلبُه حُبَّ الدنيا الْتاطَ بثلاث: شقاء لا يَنْفَدُ عَنَاهُ، وحِرْصٌ لا يُبْلَغُ غَنَاهُ، وأمَلٌ لا يُبْلَغُ مُنْتَهاه، والدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبتْه الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه بعنقه، ومن
٢١ طلب الآخرة طلبتْه الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، فالزهد في الدنيا راحة البدَن وخفّة

---

٦) – ٧) القرآن الكريم ٢٠/٥٧.
٨) – ١٠) القرآن الكريم ٢٠/٥٧.
١٢) – ١٣) القرآن الكريم ٢٠/٤٢.
١٥) – ١٦) المعجم المفهرس ٢٧٥/٢.
١٧) – ١٨) المعجم المفهرس ٤٩٧/٣.

الميزان وقلّة الحساب.

ثم يُختَلَفُ في المعاني والأحكام، فزهد الصوفيّة فيما يشغلهم عن الله عزّ وجلّ، لأنّهم زهدوا في الدنيا لموافقة السنّة، وزهدوا في النفوس للحقّ فتركوا الحظوظ والشهوات ٣ وانفردوا عن الأشياء بالزهد فيها تعزّزًا، فلا يليق بهم شيء ولا يليقون بشيء.

وسئل الشِّبْلي رحمة الله عليه عن حقيقة الزهد، فقال: إنّ الزهد فيما سِوَى الله، فأهل التصوّف افترقوا في معاني الزهد، وارتقوا في إشارته، وعَلَوْا في معانيه، وقطعوا ٦ بحقيقته عن جميع عوارض المعائش وما يقوم به أبدان سائر خلق الله من المطعوم، فإنّهم على مراتب وطبقات: فمنهم من زهد في الدنيا ورضي منها بالبُلْغة وستر العَورة، ومنهم من اختصر واقتصد ورضي بجوع يومين وشبع يوم، ومنهم من رفع لنفسه معلومات ٩ الأقوات ومرسومات الأوقات (١٩) وأَكَلَ عند الضرورات، ومنهم من أخذ من الدنيا بقدر ما أحلّ الله عزّ وجلّ للمُضْطَرّ من الميتة، ومنهم من ارتقى في الإشارة وقوّاه الله عزّ وجلّ بحقيقة الزهد فلم يأكل طعام الآدميّين من الخبز وغيره إلى المات. ١٢

هكذا حُكي عن بعض أصحابنا أنّه رأى من نفسه شَرَهًا، فعاهد الله تعالى أن لا يأكل الخبز في الدنيا، فلم يأكل سنين حتى مات، وحُكي عن أبي عبد الله المغربي أنّه لم يأكل ثلاثين سنةً إلاّ من بقول الأرض، ولم يشرب إلاّ من ماء العيون، قال: وأخبرني ١٥ ابن شيبان أبو إسحق يقول: وأقمت على قبره ثلاث سنين، قال: فبعد ثلاث سنين نمت عند قبره فرأيته في النوم فسألته شيئًا فأجابني وأمرني أن أعود إلى بلدي، فرجعت إلى قِرميسين بإذنه، وأخبرني بذلك أبو بكر الطرسوسي، حدّثنا إبراهيم بن شيبان عن أبي ١٨ عبد الله.

فجميع ما يشغل عن الله عزّ وجلّ فهو الدنيا، وسئل الجُنَيد عن الدنيا ما هي؟ فقال: ما دنا من القلب فشغل عن الله فهي الدنيا، وقال بعضهم: ما دنا من النفس ٢١ للنفس فهي الدنيا، وقال بعضهم: ما دنا لشغل فهي الدنيا، وقال بعضهم: ما تعلّق به العبد غير الله عزّ وجلّ فهي الدنيا، فالزهد رفع الأطماع ونفي الأطباع وصدق الادّفاع، ومن تعلّق بشيء فقد وُكِّلَ إليه لقوله ﷺ: من تعلّق بشيء وُكِّلَ إليه، ومن حقيقة الزهد ٢٤

---

٢١) حلية الأولياء ١٠/٢٧٤، ٣ – ٤، طبقات الصوفية (أنصاري) ١١٠، ٤؛ Gramlich Derwischorden 2,43

٢٤) المعجم المفهرس ٤/٣١٢.

نفي العلائق وترك العوائق ، ثم شَغَلَ العارفين في الزهد بالزهد رغبةً ، وللصوفيّة البالغين في حقيقة خالص الزهد والانفراد عن رؤية الزهد إشارات ولهم خصوصيّة في معاني تجريد
٣ التوحيد ما جَرَّدوا فيه الزهد عن الزهد المعروف بالزاهدين ، ومن حقيقة زهد الخاصّ نفي التعلّق بما سوى الله عزّ وجلّ ، ولقد نسوا في جنب الله حظّ الدارين والتعلّقَ بحظوظها حتى حُكي عن الجريري أبي محمد أنّه قال : كان لي مُريد صادق فتوفّي في سُكر
٦ إرادته ، فرأيته في النوم فقلت له : ما فعل الله بك؟ فقال : يا أستاذ غفر لي وتوّجني بتاج الكرامة وأخذ بيدي وأدخلني الجنّة ، وكان يناولني الحور العين والقصور ، **(٢٠)** فقلت له : وهل علقت قلبك بشيء من ذلك؟ قال : لا يا أستاذ ! قلت : لو علقت قلبك
٩ بشيء من ذلك لَنُزِّلْتَ معه ، فهذه حقيقة زهد الصوفيّة في الدارين ، لم يختاروا عليه ولم يرغبوا معه في شيء من عطاياه ، قد رضوا بالله وليًّا وحسيبًا ، ونَسوا جميع حظّ المنزلين ، فأولئك الزاهدون حقًّا ، وللصوفيّة في الزهد حقائق وإشارات يقصر دونه العبارة
١٢ والوصف .

(٣)

باب

رسوم الصوفيّة

١٥ وأمّا رسوم الصوفيّة فمجاهدة النفوس وترك الشهوات ومخالفة الهوى ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ، قال مجاهد : هي مجاهدة النفس ، وسُئِلَ رسول الله ﷺ : من المجاهد؟ قال : من جاهدَ نفسَه لله عزّ وجلّ ، وعن الحسن ،
١٨ قال : قدم قوم على النبيّ ﷺ من الغزو ، فقال : مرحبًا بكم حيّاكم الله ، جئتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ! قالوا: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال : مجاهدة الرجل نفسَه وهواه لله عزّ وجلّ .
٢١ فالصوفيّة جاهدوا أنفسهم لأنّ النفس تدعو إلى مخالفة الله عزّ وجلّ وتحبّ ما فيه

---

١٥) فمجاهدة : بمجاهدة ص .

---

١٦) القرآن الكريم ٦٩/٢٩ .
١٧) المعجم المفهرس ٣٨٩/١ .
١٨) – ٢٠) Reinert, Tawakkul 82

العطب والهلاك ويعادي الحقّ ، قال الله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ، وقيل : أوحى الله إلى داود عليه الصلاة والسلام في معنى النفس : أنْ عادِها فإنّها عَزمت على مُعاداتي ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ النَّفْسَ ٣ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ ، فمن جاهدها وخالف هواها عرفها بالمخالفة وعرف عداوتها وحكمها ، ولا يعرف النفسَ إلّا مَن خالفها ، وبالمخالفة يعرف أخلاقها ، فأمّا ذاتها فلا يعرفها غير بارئها عزّ وجلّ ، ويُروى عن أبي مالك الأشعري عن النبيّ ﷺ أنّه ٦ قال : أعدَى عدوّك نفسُك التي بين جنبيك .

فرسوم الصوفيّة مجاهدة النفوس لله عزّ وجلّ وإيثار محبّة الله على هواها ، فقد أوحى الله عزّ وجلّ إلى بعض أنبيائه : عادِ نفسَك فيَّ وَوُدَّني بعداوتها ، فمُذْ خلقتُها أظهرتْ لي ٩ المعاداة ، وذلك أنّها خُلِقَتْ بأخلاق مختلفة ، ويُقال إنّ الله (٢١) عزّ وجلّ خلق النفوس فجعل لها أخلاقًا : خُلقًا من أخلاق الملائكة ، وخلقًا من أخلاق الجانّ ، وخلقًا من أخلاق الشياطين ، وخلقًا من أخلاق الوَحْش ، وخلقًا من أخلاق الطيور ، خلقًا من ١٢ أخلاق البهائم ، ثم جعل لها خُلقًا من أخلاق الجَبَروت فعرفت بها جميع الأخلاق ، فمن غلب عليه خُلق الملائكة غلب عليه العبادة ، ومن غلب عليه خُلق الجانّ والشياطين غلب عليه المَعْصية والعجلة ، من غلب عليه أخلاق الوحوش غلب عليه الاستيحاش من ١٥ الخليقة ، ومن غلب عليه خُلق الطيور غلب عليه السرعة والسَير ، ومن غلب عليه خُلق البهائم غلب عليه الأكل والشرب ، ومن غلب عليه خُلق الجَبروت قام مقام الغباوة وخالَف الحقّ وخرج من العبوديّة وقام بمخالفة الرُبوبيّة فوُكِّلَ إلى النفس ، والنفس ١٨ خِلقتها عجيبة وأمرها عجيب ، ولا يعرف أخلاقها إلاّ من خالَفَها وبالمخالفة وقف على بعض أخلاقها .

وسئل بعض أصحابنا عن حقيقة النفس وكيف وقعت عداوتها وكيف كان بدءُ ٢١ أمرها ، فقال : لمّا خلق الله عزّ وجلّ النفس من الطين ونفخ فيها الروح فاستمكنت فنظرت إلى الملائكة وخشوعهم عند ربوبيّة الله تعالى وتقدّس ، فهشّت إلى ذلك واشتهت

---

١) – ٢) القرآن الكريم ٣٦/٧٧ .
٣) – ٤) القرآن الكريم ١٢/٥٣ .
٧) راجع التصفية ١٨٨ ، ١٢ .
٢٣) فهشت... واشتهت ، قارن رياضة النفس ٢٣ ، ١ .

الربوبيّة ، فامتحنها الله بسجود الملائكة لها ، فازدادت النفس طُغيانًا وظنّت أنّها أهلٌ لذلك ، فمن ذلك كلّما استعبد الله عزّ وجلّ خلقه من ذكره ومدحه تزيد النفوس من ٣ البريّة استعنادها ، فهذا بدءُ أمرها ، وهي حقيقة ما قال : مذ خلقتُها أظهرت لي المعاداة.

وللصوفيّة في النفوس علوم يُختلَف فيها وأحكام يفترق في أصولها ، ويُقال : النفس ٦ ثلاثة ، نفس أمّارة ونفس لوّامة ونفس مطمئنّة ، وحقيقة نفس النفس لا تُدرك بالوصف لأنّ ذاتيّة النفس في الهيكل كذاتيّة الروح فيه ، ويقال : إن ذاتيّة النفس الهوَى والهوَى في النفس كالريح (٢٢) الهابّة أو كالروح الحارّة.

٩ وأشارت الصوفيّة في معارفها إلى حقيقة النفوس التي خالفت الحقّ ، وقد قال سهل بن عبد الله : أَوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام : يا موسى ما خلقتُ خلقًا ينازعني في ملكي غير النفس ، فإنْ أردتَ رِضايَ فخالِفْها ، فإنّ النفس كالظلّ الذي لا يبقى ١٢ عليك إنْ أنت تبعتَه ، وإنْ رجعتَ عن هواها تبعتْك كما أنت إذا رجعت عن ظلّ تبعك ، والتابع لنفسه كالتابع لظلّه لا يدركه ما دام قائمًا شخصه ، وفي هذا إشارة لأهل الفطنة ، وهو موضع الرمز لا موضع الشرح ، والله يسمع من يشاء ويمنح الدرك لمن يزهد ١٥ في اختياره وتركه.

وللنفس أخلاق خفيّة وأخلاق تظهر عند الغلبات ، والخفيّة منها لأهل الخفيّ وبالخفيّ تعرف خفيّات النفوس وخباياتها ، والظاهر منها هيجانُ الغضب والنطق ١٨ بالأنانيّة ، وذلك ما أظهره الله عزّ وجلّ من إبليس حيث قال : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ ، فأمّا الغضب فموضع خُلق الجبروت ، وهو الظاهر من أخلاق النفوس ، وفي أوّل إبرازه نسيان الحقّ والقيام بأخلاق الربوبيّة ، وقد قال بعض العارفين : ما من نفس خلقها الله عزّ ٢١ وجلّ إلاّ ودعوى الربوبيّة في ضميرها ، ولكن فضل الله ومنّته وعزيز هدايته ونور سلطانه يمنعها عن القيام بها ، وما نطق بها غير فرعون حيث قال : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ ، فالنفوس كلّها واحدة في الجبِلّة ، وفضل الله عزّ وجلّ واصطفاؤه واختصاصه يمنع ٢٤ النفوس عن أخلاقها ، فإذا غضبت النفس فاشهدْ إضمارها ، فإنّها تقوم مقامَ الأرباب

---

٦) نفس النفس : نفس النفيس ص ٩) خالفت : خالف ص ١٣) قائمًا : قائم ص
١٧) خباياتها : كذا ، والصحيح : خباياها.

---

١٨) القرآن الكريم ١٢/٧ ٢٢) القرآن الكريم ٢٤/٧٩.

وتنسى مقام العبوديّة ، ويروى في الخبر أنّ موسى عليه السلام قال : يا ربِّ متى تكون لي؟ فقال : يا موسى إذا لم تكن لنفسك ! قال : ومتى لا أكون لنفسي؟ قال : إذا نسيتَها كلَّها ! ووصفُ النفس ونعتها تكثر وتقصر عنه النعوت ولا يُحصَى ، لأنّ النفس ٣ خُلِقتْ من الأرض ففيها عَيشُها وبها فرحها وهي تطمئنّ إليها ، وبالأرض قُوّتها ، والروح خُلق من الملكوت وهو بخلافها يطمئنّ إلى أوطانه وتحنّ إلى الملكوت (٢٣) إلى قرب الملائكة. وقد حكي عن أحمد بن أبي الحواري أنه قال : رأيت راهبًا في دير حرملة ، ٦ فقال : إنّا نجد في كتبنا أنّ بدن ابن آدم خُلق من الأرض وروحه من الملكوت ، فإذا نَعَّمَ بدنَه وسقاه وأطعمه ونوّمه وأراحه أخلد إلى الموضع الذي خُلق منه ، فلم يكن شيء أحبّ إليه من الدنيا ، وإذا أجاعها وأظمأها وأسهَرها وأتعبها نازع إلى الموضع الذي خُلق منه فلم ٩ يكن شيء أحبّ إليه من ملكوت السموات ، قلت : فإذا فعل ذلك يعجّل لها في الدنيا ثوابًا؟ قال : نعم نورٌ يراه ! فحدّثت به أبا سليمان فأعجبه.

فمعرفة النفوس من معرفة الله عزّ وجلّ ، فأعرَفُ الخلق بالله أعرفهم بأنفسهم ١٢ وأكثرهم عداوةً لها ومجاهدةً لها. ويُحكى عن أبي يزيد البَسْطامي رحمة الله عليه أنّه قال : خالفتني نفسي في شيء فلم أشرب الماء سنةً. وهذا غاية المجاهدة، وللصوفيّة مجاهدات على أحكام شتّى ظاهرًا وباطنًا ، وهم وافقوا السُّنَّة بها لقوله ﷺ حين قال ١٥ رجل : إنّي أريد الجهاد ! فقال : إبدأ بنفسك ! فجاهِدْها ثلاثًا ولو مُتَّ فإنّك شهيد ، فهذا رسوم الصوفيّة بموافقة الشريعة والسُّنَّة وللصوفيّة في معاني المجاهدات والرياضات إشارات ومعانٍ تخفَى عن أكثر الناس ، وبذلك فُضِّلوا على سائر الصالحين وأهل العبادة ١٨ والصيانة من المؤمنين.

(٤)
باب
إشارات الصوفيّة ٢١

وأمّا إشارات الصوفيّة فحقيقة الإرادة للحقّ مُفرَدًا ، وذلك من حقيقة قوله عزّ وجلّ : ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ، فإشارات الصوفيّة تعلو ، لأنّهم آثروا الله على جميع

٦) – ١١) حلية الأولياء ٥/١٠.
٢٣) القرآن الكريم ٥٢/٦.

الأسباب ، وقطعوا عن قلوبهم جميع الأنساب ، واشتغلوا بذكره عن الأذْكار ، وعبدوا
الله في الطَّويّة بحقائق الأسرار فأوّل قصدهم أنّهم أحكموا الظاهر من العلوم من الأمر
٣ والنهي واستعملوها بالجهد والطاقة والإخلاص والصدق ، فأورثهم الله عزّ وجلّ علمًا
بغير تعلُّم ، وقد قال النبيّ ﷺ : من عمل بما علم وَرَّثه الله علم ما لم يعلم ، ففطنوا
الأمور ونبّهوا < الى > حقائقَ انفردوا بها (٢٤) عن سائر الخليقة ، فنسوا بوجدان قلوبهم
٦ جميع المخلوقات ، واختاروا الله عزّ وجلّ على ما سواه ، وأشاروا إلى تجريد التوحيد ،
وذلك أنّهم لم يطلبوا مع الله ثوابًا دون لقاء الله عزّ وجلّ والنظر إلى وجهه جلّ جلاله ،
وذلك إشارة الصوفيّة الذين لا يريدون في الدارين مع الله عزّ وجلّ شيئًا ، ولا يشتغلون
٩ بالعطاء عن المعطي ، فوافقوا الله بالحقيقة ، فأشار الحقُّ إليهم بإشارة أهل التجريد ،
فأخذوا حقيقة الإشارة عن الله عزّ وجلّ وانفردوا وتشمّروا وتجرّدوا لإجابة الحقّ بحقيقة
المعنى ، فرفعوا بذلك جميع العوارض الشاغلة ونسوا حاضر الدار في جنب لقاء الواحد
١٢ القهّار ، ثم أشاروا بموافقة إشارة الحقيقة إلى فَناء حظوظهم من الدنيا والآخرة ، وإنّما
يُحقَّق ذلك فيمن لا يشغل ظواهره بظواهر غوائل الدنيا ، ولا يميل بسرّه إلى بهجتها ، ولا
يسأل من مولاه غيره ولا يؤْثر عليه ثوابَه وعطاءه ، وكيف يسكن من ادّعى حقيقة التجريد
١٥ إلى شيء غيره ، وكيف يتعلّق بشيء وقد ادّعى نفيَ الأشياء ورفعَ حظّه من الدنيا والآخرةِ
إلاّ مِن الله عزّ وجلّ؟

وإنّما أشار الصوفيّة إلى نفي الأسباب من الدارين لأنّ جميع المخترعات والمخلوقات
١٨ من المستحسنات والمستلذّات من الدنيا والآخرة خُلِقتْ لحظّ الخلق ، قال الله عزّ وجلّ :
﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيه الأَنْفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ ، وإنّمَا ذلك وَصْفٌ لثواب أوليائِه مِن مرارة ما
وجدوا في الدنيا من الصبر على مخالفة حظوظ النفس وغرورها وغوائلها وآفاتها ، ورأوا أنّ
٢١ كلّ حظوظهم مُشغلة عن الله عزّ وجلّ ، وأنّ حظوظ أنفسهم في الرغبة والركون إلى الدنيا
والتنعُّم فيها ، فتعلّقوا بالله عزّ وجلّ وقطعوا المشاغيل وجاهدوا أنفسَهم وخالفوا هواها ،
وأيقنوا أنّ النفس تدعو إلى مخالفة الله تعالى ، فزهدوا في جميع حظوظهم ، فأورثهم الله
٢٤ عزّ وجلّ حقيقةً من السرّ ، فبذلك نسوا جميع حظوظ الدارين ، فصاروا في سجن الحقّ
وفي قيده ، ثم بنور المواريث وسابق الهداية نظروا إلى الدنيا الفانية وشهواتها الرديّة

٨) يشتغلون : يشتغلوا ص ١٩) تشتهيه : تشتهي ص ٢٢) المشاغيل ، كذا ، والصحيح : المشاغل

١٩) القرآن الكريم ٧١/٤٣.

وشاهدوها (٢٥) سجنًا لأوليائه كما هي ، ففارقوا لذّاتها ونعيمها إذْ ليس ذلك من شرط المسجونين ، وتركوا الحركات في طلبها إذ ليس ذلك من شرط المقيّدين.

٣ وللصوفيّة في معنى الحبس إشارات لأنّ الصوفيّة محبوسون مسجونون في أسجان فيُقَيَّدون بقيودٍ إلى أنْ يَلْحقوا عن أسرهم وحبسهم وقيدهم ، فأوّل السجن دار الدنيا وهي سجن المؤمن ، وهو محبوس فيها إلى وقت الأجل والإطلاق من السجن ، وقد قال ٦ النبيّ ﷺ : الدنيا سجن المؤمن ، وحكي عن داود الطائي رحمة الله عليه أنّه لمّا مات سُمع بناحية خراسان هاتف يقول : قد أُطلق داود الطائي من السجن ، فتُوفّي في تلك الليلة.

٩ والحبس الثاني : حبس الأرواح في الأشباح ، والروح في حبس النفس يحنّ من حبسه إلى الملكوت إلى قرب الملائكة وبارئه جلّ اسمه ، وهو محبوس إلى وقت الأجل المعلوم.

١٢ والحبس الثالث : فالقلب في حبس الهوى وهو يحنّ إلى الله عزّ وجلّ من حبسه ، والهوى سجنه ومحبسُه ، وكيف لا يكونون أسارَى وهم في سجونٍ وقيودٍ ، فالسجن ما وصفتُه من الأسجان.

١٥ ثم القيود العلوم من الأمر والنهي ، لأنّ المؤمن مقيّد بالعلم ، وعلى كلّ جارحة له قيد من العلم ، وعلى كلّ حاسّة من حواسّه وآلاته من النظر والسمع والبطش والسعي فعلى كلّ جارحة من الجوارح قيد من العلم ، وقد قال النبيّ ﷺ : المؤمن مُلجَم ، لأنّه يزجر نفسه ١٨ عن المكاره ويصبر عن المعاصي ، وإنّما الصبر في اللغة حبس النفس عن مرادها وعادتها ، فكذلك المؤمن المخصوص يقف مع العلم ووقوفُه حقيقةُ حبسه وتقييده ، وقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال : المؤمن وَقّاف ، فالوقّاف الذي يُحقّق فيه جميع أحوال المحبوسين ، ٢١ فوقف في حبسه وصبر عن حظّه ورضي بقيده وأُسرته ، وإنّما تحقّق ذلك فيمن أشار إلى حقيقة التجريد ، فالصوفيّة أشاروا إلى عين الصفاء ، وكلّ مشغلة اشتغلوا بها في الدنيا والآخرة صار حبس وقتهم وحبس معانيهم حتى إنّ بعضهم لَيحكي عن بعض المشتاقين

---

١٣) يكونون : يكونوا ص.

---

٦) المعجم المفهرس ٢/٤١٣ ؛ Gramlich, Derwischorden 2, 38, A 146

٧) قارن حلية الأولياء ٧/٣٤٠ ، – ٤ ؛ ٧/٣٥٢ ، ٧.

أنّه قال : إنّ بعض (٢٦) أهل الجنّة في الجنّة يستغيث من الجنّة إلى الله عزّ وجلّ كما يستغيث أهل النار من النار ، ورُوي عن الخوّاص رضي الله عنه أنّه قال : سجن العارفين ٣ الجنّة ، فهذا حقيقة الصوفيّة في أسرارهم ، وإشاراتهم تعلو عن الإشارات.

فأولئك أهل تجريد التوحيد يريدون الله إخلاصًا ، وطريقهم أصعب المسالك لأنّهم سلكوا طريق المخاطرة فتبرّأوا من الدنيا وأهلها ، وقد قال الجُنَيْد : أهل التصوّف الذين ٦ طريقهم على المخاطرة فلا يميلون إلى الخلق ولا إلى أهلهم ، فإنْ نظروا أوْ مالوا مُنعوا عن السلوك فيعجزوا.

فهذا طريق الصوفيّة وأحوالهم وإشاراتهم ، فمن أشار إلى ذلك ولم تقطعه حقيقة ٩ الإشارة من الدنيا وما فيها فإشارته شرك ودعواه زُور ، ثم حقيقة تجريد الهمّ تجريد الظاهر وترك المشاغيل ، فمن تعلّق بالدنيا وركن إليها واشتغل بها ثم ادّعى حقيقة التجريد فقد افترى على الله عزّ وجلّ ، قال الله سبحانه : ﴿اللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرونَ﴾.

(٥)

١٢ باب
لباس الصوفيّة

وأمّا لباس الصوفيّة فالصوف ، وذلك لباس الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، ١٥ وأوّل من لبس الصوف آدم عليه السلام حين أُهبط الى الأرض ، وهو لباس موسى وعيسى وعامّة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو من السنّة ، لأنّ النبيّ ﷺ لبسه وكان لباسَه ﷺ ، فيُروى عن الشعبي عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه ، قال : ١٨ رأيت النبيّ ﷺ وعليه جُبّة صوف ، وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه ، قال : خطب رسول الله ﷺ وعليه جُبّةُ صوف ، ثم أصحاب الصُّفّة رضي الله عنهم لبسوا الصوف حين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ والْعَشِيِّ ٢١ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

---

٢)–٣) Gramlich, Derwischorden 2, 38, A 146 : منسوب إلى يحيى بن معاذ الرازي.
١١) القرآن الكريم ٥٩/١٠.
١٦) – ١٩) المعجم المفهرس ٤٤٤/٣.
٢٠) – ٢١) القرآن الكريم ٥٢/٦.

فأهل التصوّف لبسوا الصوف موافقة للسنّة، ثم لهم في لبسهم إشارات ومعان انفردوا بها عن غيرهم، فمن الصوفيّة من لبس الصوف بشرط العلم، ومنهم من لبسه بشرط الإسقاط، ومنهم من لبسه بشرط الزهد، ومنهم من لبسه بشرط محبّة اللابسين له، ومنهم من لبسه بشرط الرياضة، ومنهم من لبسه بشرط الحقيقة. ٣

فأمّا من لبسه بشرط العلم فهو الذي لبس (**٢٧**) الصوف لثوابه ومواريثه، فإنّ في لبسه براءةً من الكبر ووجودًا لحلاوة الإيمان، ثم إنّه يزجر صاحبه بنظره إلى لباسه عن كثيرٍ من المكروه. ٦

وأمّا من لبسه بشرط محبّة اللابسين له فهو الذي سمع أنّ الصوف لباس الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين، فعجز عن استعمال حقائقه فآلتُهُ الأُسْوةُ بهم ومحبّتُهم إلى أنْ لبس لباسهم، وتشبّهُه بهم ظاهرًا، واقتدى بهم في الزيّ وتستّر بسترهم. ٩

فأمّا من لبسه بشرط الزهد فإنّ الصوف من لباس الزهّاد والنسّاك، وهو إظهار التضادّ والمخالفة والمباينة لأبناء الدنيا في مُرادهم وأكلهم وشربهم وسعيهم وحركاتهم، وزهدوا في الرياسة ونزعوا ثياب الخُيَلاء والتفاخر، فلبسوا الصوف لاختيار الذلّ والتواضع بموافقة جميع الأحكام، فأشاروا في اللبس إلى حقيقة الزهد، ثم حقائقه تتبع ذلك. ١٢ ١٥

وأمّا من لبسه بشرط الرياضة، فإنّ الصوف يكون أخشن على البدن وأجلد، إنّما لبسوا ذلك لتجد النفس أَلَم الخشونة كما وجدت تنعّم لين الثياب على الجلد، وأخذوا في رياضة النفوس واجتهدوا حتى خمد في أنفسهم تهيّج نيران الشهوات، وأنفوا ملاذّ حظّها، وأزالوا فتنة هواها. ١٨

وأمّا من لبسه بشرط الإسقاط فإنّ النفس تتبختر بزينة المُتْرَفين وتتعاظم بلباس المغترّين، وينفرد عن الناس إذ لبس رقاق الثياب ليرتفع في المنزلة عند الناس فصار مسرورًا برياسته مشاهدًا لِنفسه، برضا نفسِهِ ينظر إلى نفسه فيراها عاتبةً متكبّرةً مُظهرةً بلباس الكبراء، وذلك وقت مقت الله عزّ وجلّ، فلبس الصوف ونزع ثياب المقت ونفى رؤيته عن رؤية الناظرين بإظهار ثياب الذلّة والخضوع، وحقّرها عند أشكالها وأمثالها في ٢١ ٢٤

---

١) للسنة : السنة ص ٤) لبسه : لبس ص ٦) وجودًا : وجود ص ١١) لبسه : لبس ص ١٧) وجدت : وجد ص ١٨) خمَد : خمَدت ص ‖ أنفوا : أنفى ص ١٩) وأزالوا : وأزال ص ٢٣) نفى : انفى ص.

الدنيا ليزيل بذلك تعبّد الناس ويسقط من عيونهم ، ليكون لله عزّ وجلّ خالصًا ، فحين
أظهر اللباس بشرطها نفى (٢٨) رؤية الرائين وصار يعبد ربّه بالإخلاص وترك الالتفات
٣ إلى غيره .

وأمّا من لبسه بشرط الحقيقة فالذي لبسه بموافقة وقته ورضا سرّه وطيبة قلبه وهجران
نفسه ، وذلك أنّه حين أشار إلى حقيقة الوَجْد فلبس الصوف بموافقة الحال ، وانزجر من
٦ لباس أهل الغِرّة والغفلة بزجر الغيرة وحقائق الطويّة ، لم يرضَ أن يكون لباسه بخلاف
وَجْده فوافق عليه سرّه .

فحين لبس الصوف واستأنس بلباسه إذ كان لباسَ المحزونين ، ووجود الآلام من
٩ مرارات الأمور الموجعة ، فإنْ لاحظ حقائقها وجدها تشتكي من مرارة البَيْن والفراق ،
وإن نظر إلى قلبه رآه محزونًا مغمومًا ممّا أوردت عليه حقائق سرّه ، وإنْ نظر إلى نفسه
رآها نحيلةً نحيفةً ذائبةً جلدة رقيقةً ملتزقةً بالعَظْم من مواريث ما في القلب ، ثم نظر إلى
١٢ لباسه الذي لبسه بشرط الحقيقة فرآه موافقًا لجميع أحواله ، فهذا حقيقة لباس الصوفيّة ،
وما خفي من حقائقهم أكثر ولا يمكن أن يُحْصَر .

(٦)
باب
١٥ زينة الصوفيّة

وأمّا زينة الصوفيّة فالمُرَقَّعة تزيّنوا بها لموافقة السُّنّة أوّلاً ، إذ النبيّ ﷺ تزيّن بها
ولبسها ، فإنّه يُروَى عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : حكت لرسول الله ﷺ حُلّة
١٨ من أنماط صوف أسود وجعل لها حواشي من صوف أبيض ، وخرج رسول الله ﷺ إلى
المجلس فضرب بيده على فخذه وقال : ألا تَرون حُلّتي ما أَحسَنَها ! قال ، فسألها أعرابيّ
فوُهبها منه .

٢١ فالمرقّعة لباس الأبدال والأوتاد والصدّيقين ، وللصوفيّة في معنى المرقّعة إشارات ،

---

٢) نفى : انفى ص ٤) لبسه : لبس ص ١٠) اوردت : اورد ص ١١) رآها : رآه ص ‖ جلدة : جلد ص ‖ رقيقة : رقيقًا ص ‖ ملتزقة : ملتزقًا ص .

---

١٧ – ٢٠) قارن المعجم المفهرس ٣/٤٤٤ .

ومن الصوفيّة من يلبسها على حكم الضرورة ، ومنهم من يلبسها على حكم الإسقاط ، ومنهم من تزيّن بها وأشار في تلوّنها إلى حقائق أهل النهايات.

وقد لبس المرقّعة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين وكان (٢٩) فيها ٣ من الأديم ، ثم كان لباس أُوَيس القرني رضي الله عنه ولباس الصائبين بعده.

وأصل المرقّعة مما التقط من الأرض من المزابل والطُرُق من الخِرَق ، فغسلوا ذلك ورقّعوا البعض على البعض حتى ثَقُلَ فكان لباسَ أحدهم طول عمره في الشتاء ٦ والصيف، وقد حكي عن رابعة العدويّة أنّها كانت لها مرقّعة أربعين رطلاً ، فأوصت بأنّها إذا توفّيت تجعل المرقّعة معها في قبرها ، فلمّا ماتت رابعة دُفِنَتْ المرقّعة معها ، فرآها بعض الصالحين في المنام ، فقال : ما فعل الله بك؟ فقالت : غفر لي وأكرمني ، وذكرتْ من ٩ الكرامات، ثم أمر فحُملت مرقّعتي فعلّقت من العرش وهي معلّقة إلى يوم القيامة، وإنّما كان ذلك لشرف لابسها.

وشرائط المرقّعة وحقائقها ودقائقها إشارات أهلها فيها تعلو ، فإنّ الصوفيّة رقّعوا السواد ١٢ على البياض والكحليّ على السواد والأسود على الأزرق ، ولهم في كلّ لون من ذلك إشارات ، فأمّا الأسود ففيه إشارة أهل البَلْوى والمصائب ، وذلك لون يُظهر السلطنة والهَيْبة وهو لباس السلاطين ، وكذلك لباس الخطباء يلبسونه للهيبة على المنابر ، فبذلك ١٥ يتذاكر السلطان ، وفي مشاهدته ورؤيته عَلَمٌ للصوفيّة وتذكار.

ثم الكحلي وذلك لون يشهد الحزن لأنّه كان أبيض زاهرًا فامتحن بالصبغ فامتحانه شاهدُ الحال فيه. ١٨

ثم الأزرق وهو موافق للون السماء وليس شيء أحزن لقلوب المشتاقين من لون السماء لأنّهم لا يرون من السماء إلاّ اللون ، فحين نظروا إلى السماء تذاكروا بُعد المسافة في الظاهر فهيّج أحزانهم وطال اشتياقهم إلى من احتجب عنهم بسبع سماوات. ٢١

فالصوفيّة لهم في كلّ لون من ذلك إشارة ، فجمعوا الألوان في المرقّعة وتزيّنوا بها.

وقد حُكي عن الشِّبْلي أنّه خرج يوم العيد الى المصلّى وعليه مرقّعة ملوّنة بالأسود والأزرق وغيره من الألوان وكان معه (٣٠) أصحابه وهو يقول : تزيّن الناس يوم العيد ٢٤ للعيد وقد لبستُ ثياب الزرق والسود ، وقد حُكي عن الجُنَيد أنّه قال : إنّ الأرض لَتزهر

---

٤) الصائبين : كذا ١٠) فحملت : فحمل ص ‖ فعلقت : فعلق ص ‖ وهي : وهو ص ‖ معلقة : معلق ص ١٤) الأسود : السوداء ص ١٥) يلبسونه : يلبسون ص.

من أصحاب المرقّعات كما تزهر السماء من الكواكب ، وإنّ الأرض لتزهر ممّن لبسها بشرائطها ، فكما أنّ الكواكب علامات الهدايات يُهتَدى بها في ظلمات البرّ والبحر ،
٣ كذلك حكم لابسي المرقّعة : أن يكونوا مواضع للقدوة وعَلَمًا للهداية ، وإنّ الأرض لَتزهر ممّن كان تحت المرقّعة بشرط نسيان حظّ الدارين ، وأصحاب المرقّعات حرّاس الأرض وأوتادها وخيارها ، فبهم تُرفع الزلازل عن أهل الأرض وبهم يُمطَرون وبهم
٦ يُرزَقون لأنّهم الأبدال .

وقد حُكي عن أبي الخير الأقطع ، قال : كنت منكرًا على أصحاب المرقّعات إنكارًا شديدًا ، فكنت قاعدًا يومًا في جبل لُكام يوم التَرْوِيَة ، قال : فخرج صاحب مرقّعة من
٩ طَرسوس فجاء إليّ وسلّم عليّ وقال : يا أبا الخير ، تحجّ؟ وكان يوم التَرْوِية ، قال : فظننت أنّه يسخر مني ، فقلت : امض يا شيطان أنتم أصحاب المرقّعات تفعلون كذا ، وتصنعون كذا ، فصُلْتُ عليه ، قال : فقال بلسانٍ عَذْب : ومع هذا كلّه تحجّ؟ قال ،
١٢ فقلت أيضًا : يا كذّابين ! يا مُدَّعين ! فما زلت أقول حتى ركع ركعتين ثم رفع قدمه في الهواء وأنا أنظر إليه ، فقال : يابا الخير ، تحجّ؟ قلت : بلَى حَسْبُك ! فآليت على نفسي أن لا أنكر على أصحاب المرقّعات قطّ .

١٥ فلابس المرقّعة إذا لبسها بمشهد الحقيقة وإسقاط حظّ الدنيا والآخرة فقد أظهر إشارة الغُرْبَة ، وللصوفيّة في الغربة إشارات وذلك حقيقة ما به يقومون .

(٧)
باب
١٨ دَعْوَى الصوفيّة

وأمّا دعوى الصوفيّة ، فإنّهم ادّعوا حقيقة الغُرْبَة في الدار لموافقة السُّنَّة ، إذ النبيّ ﷺ ندب المخصوصين إلى الغربة فما رَوَى عنه ابن عمر رضي الله عنه أنّه قال : أخذ
٢١ النبيّ ﷺ ببعض جسدي فقال : يا ابن عمر كن في الدنيا كأنّكَ غريب ! وفيما رُوي

---

٣) لابسي : لابس ص ‖ مواضع : مواضعًا ص ١٢) كذابين ، مدّعين : الصحيح : كذابون ، مدّعون .

---

٢٠) – ٢١) المعجم المفهرس ٤٧٣/٤ .

عنه ﷺ أنّه قال : إنّما مثلي ومثل الدنيا كراكب إبله استظلّ تحت (٣١) شجرة ثم راح وتركها ، فحقائق الغُرْبَة كلّها مجموعة في قوله ﷺ : ألا من كان راحلاً سائرًا مسافرًا أيّ منزل نزله وأيّ شجرة استظلّ بظلّها كان بها غريبًا ، نزل ساعةً على سبيل الغربة ثم راح وتركها . ٣

فأهل التصوّف أشاروا إلى الغربة ففارقوا الأوطان والأهل والأولاد وساحوا في بلاد الله وسافروا في الشرق والغرب ، وذلك ظاهر غربتهم ، ثم افترقوا في حقيقة الغربة ، فغريب غَرُب عن وطنه وأهله وأولاده ، وغريب غرب عن حاله فغيب عنها بعد استمكانه منها ، فغرب بفقده وانفرد بوَجْدِه ، وغريب غرب عن أشكاله وكان بالضرورة مع أضداده ، وغريب استوحش من الخَلْق واستأنس بوقته في غربته وانفرد بحاله وصار غريبًا فريدًا . ٦ ٩

فجميع ذلك أحوال ظاهر الغرباء ، ولأهل حقيقة الغربة إشارات خفيّات ، فأوّل من تحقق فيه الغربة آدم عليه السلام حين أُخرِج من دار السلام فأُلقي إلى دار الغربة والآثام ، فصار فيها غريبًا وحيدًا تحقّق فيه الغربة ، فأوّلُ غُربته الغربةُ من أنيسه ، والثانية الغربة من الجنّة ، والثالثة الغربة من زوجته ، فانفرد وقت هبوطه إلى الأرض بغربته وحُقّق فيه ذلك . ١٢

فالصوفيّة أشاروا في الغربة بعد الغربة في الدار وغربة الأوطان إلى عين الحقيقة ، فقال بعضهم : الغُربة تجريد التوحيد ، وقال بعضهم : الغربة الغيبوبة عن الأحوال برؤية حقائق الأحوال ، وقال بعضهم : الغُربة سرّ التفريد من عين التوحيد ، وقال الشِّبْلي : ليس شيء أغرب من ذكر الله تعالى . ١٥ ١٨

ثم حقيقة أوقات الغرباء ثلاثة : وقت الغفلة ووقت العلم ووقت الحقيقة ، فوقت الغفلة ظاهر الغربة وهو أن يُرَدّ الإنسان إلى شاهده فيكون في وقته غريبًا من سرّه وحقائق طيّه ، ووقت العلم باطن (٣٢) الغربة لأنّ أهل الحقائق إذا رُدُّوا إلى العلم والرُّخَص وتعلّقوا بما أحلّ الله لهم غربوا عن خالص الحقيقة بمقدار ركوب الحظّ ، ووقت الحقيقة سرّ الغربة ، ذلك لأهل الخالص حين انفردوا بالخصوصيّة عن سائرهم فتعلّقوا بخالص الغربة ٢١

---

٨) غرب : غريب ص ٢١) وتعلقوا : ويتعلقوا ص .

---

١) – ٢) المعجم المفهرس ٢٩٥/٢ .
٢) – ٤) المعجم المفهرس ٧٧/٤ .

واستوحشوا من جميع البريّة ، أَلِفوا بالذكر وتَسَلّوا بالتِذكار لأنّ بالذكر يحيا الغريب ، وبالتذكار يعيش الفريد ، فلا يكون للغريب نَفَس إلاّ مع رَوح الذكر بموافقة إفراد ذكر
٣ المذكور بلسان الهِمّة من غير رؤية ثواب ولا عقاب ، وخالص الغربة إذا تعلّق بخالص التذكار اجتمع غربة الذكر مع غربة الحال فصار الغريب برَوح الذكر أليفًا للذكر ، وقد قال الشِّبلي رحمة الله عليه : أنا غريب وذكرك أغرب منّي ، فلذلك أَلِفتُ ذكرك لأنّ
٦ الغريب للغريب أليف.

فهذا حقائق غربة الصوفيّة ظاهرًا وباطنًا ، فقوم منهم ارتقوا في الإشارة فنطقوا بعلوم وأشاروا إلى الغربة في الدارين، وقد حكي عن أبي إسحق إبراهيم الخوّاص رحمة الله
٩ عليه أنّه قال : لو صيّر الله عزّ وجلّ أمري إليَّ في القيامة وقال لي : تَمَنَّ! أقول : يا ربِّ أريد مرقّعةً من نور وإزارًا من نور وركوةً من نور ونعلاً من نور فأسيح حوالي العرش ، وذلك من حقيقة ما وَجَدَ من خالص الغربة ، فلم يقل : أتمنّى السُندُس والإستبرق ، فإنّه
١٢ تَمَنّى لباس الغرباء وهي المرقّعة والنعل ، ذلك للتباين من الخليقة والتضادّ في الأحوال واللباس في الدارين ، فهذا حقيقة غربة الصوفيّة وإشارتهم ودعاويهم في ذلك.

(٨)
باب
١٥ تعبّد الصوفيّة

وأمّا تعبّد الصوفيّة فحفظ الأسرار بموافقة السنّة مع حفظ النيّة في إخلاص الطاعات وإصلاح الطويّة، إذ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ،
١٨ فحقّق الله قول الله عزّ وجلّ في أسرار الصوفيّة ، وشهدوا مراقبة الله عزّ وجلّ لهم ، وعلموا أنّ الله عزّ وجلّ شاهد على خفيّ أسرارهم ، وتقرّبوا إلى الله عزّ وجلّ بحفظ الأسرار، وذلك **(٣٣)** حقيقة الافتقار بالذِّلّة والاضطرار ، فعلم الله عزّ وجلّ منهم
٢١ حقيقة ذلك فقوّاهم على حفظ الأسرار ، ونوّر قلوبهم بحقائق التِذكار ، فسَير الصوفيّة في السرّ بالسرّ بموافقة الظاهر وحقائق الشرائع ، وحركات الصوفيّة من وجد الأسرار وصحّة

---

١٧) أن الله : والله ص.

---

١٧) القرآن الكريم ٢/٢٣٥.

النيّات، والغالب عليهم ما إليه مرجع الأمور من السرّ لقوله ﷺ: لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى صُوَرِكُم وَلَا إِلَى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وهمومكم، وأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيٍّ من بني إسرائيل أن: قل لقومك ليس مرادي منكم ظواهركم إنّما مرادي منكم بواطنكم. ٣

ثم لم يتفاضل الأولياء والأبرار على سائر الناس بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء كان في قلوبهم، فالأعمال والطاعات في الظاهر تكون فيها الآفات من رؤية الخليقة والرِّياء وغيره، وأعمال السرّ لا يطّلع عليها إلاّ البارئ عزّ وجلّ، ولا يوزَن الصوفيّة بميزان ٦ الظاهر إذ كانوا على حكم السَّداد بشهادة الشرائع، فإنّ للصوفيّة أسرارًا مع الله عزّ وجلّ لأنّ الصوفيّة أهل الأسرار والطَّويّات وأهل العزائم والنيّات، وتعبّدهم في السرّ.

وما ظهر عليهم من تعبّد الظاهر فذلك من مواريث الأسرار، لأنّهم يعبدون الله ٩ بمشاهدة القلوب، فيشهدون بحقائق إيمانهم مُغيَّبات الأمور، وذلك من قوله ﷺ حين سأله جبريل عليه الصلاة والسلام عن الإحسان، فقال: أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه فإنْ لم تكنْ تراه فإنّه يراك، فحقيقة التعبّد في حقائق الإحسان للصوفيّة ما أشار إليه ﷺ لأنّهم ١٢ يعبدون الله بحقائق الأسرار ومشاهدة الضمائر، فالأوّل رؤية العبد بحقائق الإيمان وشواهد الإيقان، وهي مشاهدة بالربّ عزّ وجلّ، والثانية من الإشارة قوله: فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك، وذلك مشاهدة الربّ عزّ وجلّ على قلوب (٣٤) الأصفياء والأولياء، فهذه ١٥ حقيقة المشاهدتين: مشاهدةٌ بالله عزّ وجلّ ومشاهدة الله عزّ وجلّ، وذلك من حقائق الأسرار والغالب فيها.

ومن ذلك تفرقة الصوفيّة في الظاهر، وفرّقهم الوَجْد حتى بانت أحوالهم وتشتّتت ١٨ مقاماتهم: فقوم لزموا العُزْلة والانفراد، وقوم آووا الى الصحارى والمفاوز والمتاهات، وقوم استوطنوا الغُربات واستوحشوا العمران، وقوم مضوا إلى رؤوس الجبال والكهوف والغيران، فاستأنسوا بالوحوش والطيور، وأقوام تعلّقوا بعضهم ببعض بقوّة الأحوال، ٢١ ونفع أهل الدار، فكانوا موافقين في المراد والمشاهدات، وصار بعضهم نفعًا للبعض، وصاروا بأجمعهم حُجَجًا على الخليقة وبراهين عليهم وسفراء بين الله وبين خلقه.

---

٤) يتفاضل: يتفاضلوا ص ٧) اسرارًا: اسرار ص ٢٠) رؤوس: رأس ص.

---

١) – ٢) المعجم المفهرس ٤٧٦/٦.
١١) – ١٢) المعجم المفهرس ٢٠٢/٢.

وقد تبيّن أحوال الجميع في صوفيّة بغداد في القديم ، وهم أصحاب سيّد الصوفيّة وخطيب العارفين الجُنَيْد بن محمّد رحمة الله عليه وفي أشكاله ، فمن أشكاله من لزم العزلة
٣ والانفراد وهو أبو إسحق إبراهيم البنّاء رحمة الله عليه وكان الجُنَيْد يصلّي خلفه وهو إمام مسجد الجُنَيْد ، وكان لا يخرج من بيته إلاّ وقت أداء الفرائض ، فكان من خيار الصوفيّة والأولياء ، وكثيرًا ما قال الجُنَيْد : إنّ أبا إسحق قفل قد ضاع مفتاحه . وبلغني
٦ أنه دخل عليه الصوفيّة وهو مريض فقال : يا أصحابنا من استطاع منكم أن يموت هكذا فليمتْ ، ففتح فاه وقال : ها ! فمات في وقته ، وكان معتزلاً ، عزلته حقيقة الأنس بالله عزّ وجلّ عن الناس. وأمّا الذي أوَى إلى الصحارى والبراري والمفاوز من أشكاله وأصحابه
٩ فأبو حمزة البغدادي رحمة الله عليه ، دخل البادية في سُكر إرادته ، فلم يخرج منها سنين ، فبعد سنين وقع للجُنَيْد أنّ أبا حمزة قد أقبل فاستقبله الجُنَيْد والنوري وجماعة أصحابه ، فلمّا خرجوا من الكوفة إذا أبو حمزة قد أقبل من البادية كأنّه قطعة لحم، جلده
١٢ ملتزق بالعظم متغيّر اللون (٣٥) رَثّ الهيئة ، فلمّا أقبل قال له أبو الحسين النوري : يا سيدي هل تغيّرت الأسرار كما تغيّرت الألوان؟ فأنشأ أبو حمزة يقول : [من الرجز]

شَرَّدَني عَن وَطَني أخْرَجَني عَن وَطَني
١٥ أقولُ فَقْدَ الدِّمَنِ

إذا تغيَّبْتُ بَدا وإنْ بَدا غيَّبَني
يَقولُ لا تَشْهَدُ ما تَشْهَدُ أوْ تَشهدُني

١٨ فكان أبو حمزة ممّن أوَى إلى الصحارى والبوادي.

وأمّا من أوَى إلى الخربات واستوحش من العمران فأبو الحسين النوري ، لم يدخل الأمصار سنين غير الجمعات ، وكان يأوي إلى خربات في سواد بغداد ، فربّما كان
٢١ الجُنَيْد يطلبه أسبوعًا فلا يجده ، وربّما وجده في خراب أو على رأس عين ، وكان يلحّ عليه في أن يطعمه قليل سَويق ، وبلغني أنّه مات آخر عمره في خربة فدفنه الجُنَيْد وكتب على قبره : هذا قبر أبي الحسين النوري عاشق الرحمن .

---

٥) كثيرًا : كثير ص ٧) عزلته : أعزله ص.

---

١٠) – ١٧) تأريخ بغداد ٣٩٢/١ ، ١٦ ؛ حلية الأولياء ٢٥٠/١٠ ، ٢ ، منسوب الى أبي الحسين النوري.
١٠) النوري : الجريري ، تأريخ بغداد.
٢٢) – ٢٣) قارن قصة موته في اللمع ٢١٠ ، ١٧.

وأَمَّا من أَوَى إلى الجبال فكثير من أصحابه حتى إنّ أحدهم بنى صومعةً بباب المِحْوَر ، وكان يقال له الحسين صاحب الصَّوْمَعة ، وكان يُحكِم بالإشراف على الأسرار ، قال : فجرى يومًا شيء من كرامات الأولياء عند الجُنَيْد ، وقال للجُنَيْد : اعتقد اسم من شئتَ بقلبك ولا تُخبِرْنا به ! قال ، فوقف الجُنَيْد ساعةً ثم قال له : قد اعتقدتُ ، فقال له الحسين : هو فلان ، قال الجُنَيْد : فعدلتُ بسرّي إلى غيره فقلت : لا ! فقال : اعتقدْ ثانيةً ! قال ، فقلت : قد اعتقدت ، فقال : فلان ، قال ، فعدلتُ إلى ثالثٍ وقلت : لا ! فلمّا كان في المرّة الثالثة قال له الجُنَيْد : لا ! فصرخ وخرج وهو يقول : ما كذّبني سرّي ساعةً قطّ .

وكان للجُنَيْد أيضًا صاحب ، فسمع آيةً فهام على وجهه ، فحُكِيَ عن أصحابه أنّه دخل البادية ، قال : فضللت الطريق وأَوَيت إلى جبل ، فإذا أنا بشابٍّ فريد حزين وحيد يتعبّد في ذلك الجبل ، فقلت : يا فتى ما أخرجك إلى ها هنا ؟ قال : أخرجتني آية من كتاب الله تعالى سمعتها ، قلت : وما هي ؟ قال : قوله عزّ وجلّ : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾ ، قال : فتركته هناك وخرجت .

(٣٦) فهذا والله من حقيقة المشاهدة إذ علم أنّه ينظر إليه حيث كان ، فهذا الذي هام على وجهه أوى إلى الجبال ، وكثير من أصحابه ، فإنَّ رُوَيْم بن محمّد رحمة الله عليه كان لا يأكل برهةً من الزمان ، وكذلك في سائر جبال الشام .

وأمّا الذين تعلّق بعضهم ببعض في الظاهر فأظهرهم الله عزّ وجلّ في الخلق للحُجّة عليهم ، وجعلهم سفراء بينه وبين المُريدين ، وكانوا أطبّاء المريدين ونشر عنهم علوم الخاصّة وعلوم المعارف ، فسار بوصفهم المريدون ، فالجنيد بن محمّد ورُوَيم وأبو محمّد الجُرَيري والزقّاق وأبو سعيد الخرّاز والمُرتَعِش والنوري في بعض أوقاته وصبح السقّاء والرقّام وأبو حمزة وأبو الحسين المالكي والشِّبْلي ، ثم من سائر البلدان مثل أبي بكر الكتّاني والدامغاني وأبو بكر المصري وأبو عبد الله المغربي وابن شَيْبان وأبو يعقوب السُّوسي وأبو سليمان المغربي وأبو بكر الدِّينَوري والفرغاني والمزيّن الكبير والمزيّن الصغير وغيرهم ممّا يكثر عددهم رضي الله عنهم ، أظهرهم الله عزّ وجلّ كلّهم للحجّة على الخلق ، فكانوا

---

٤) اعتقد : اعقد ص ١٦) وكذلك – الشام : كذا ١٧) الذين : الذي ص .

---

١٢) – ١٣) القرآن الكريم ٤٨/٥٢ .

جميعًا بمشهد الحقّ مجتمعين وفي أحوالهم مشتركين ولأولياء الله ناصحين، ثم صاروا حجّةً على العالمين.

٣ فهذا بعض حقائق الصوفيّة وأصحاب الأسرار، ثم ما خفي من أحوالهم أكثر، وكلّ ذلك من حقيقة المشاهدة ومعاني المراقبة في حقيقة الطويّة والضمير، يتبع ذلك الاكتساب والمجاهدات والتحرّك بالطاعات، جعلنا الله منهم برحمته وفضله.

(٩)

٦ باب
علوم الصوفيّة

وأمّا علوم الصوفيّة فذلك علم الباطن، وهو علم الإلهام وسرّ بين الله عزّ وجلّ وبين ٩ أوليائه بلا واسطة، وهو العلم اللّدُنّي، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، كذلك علم المخصوص، وهو علامة الأولياء وحقيقة الحكمة، ويكون تحقيق ذلك من الظاهر لأنّه يوافقه، فمن استعمل علم الظاهر بالجدّ والجهد ورّثه الله علمًا بغير تعلّم وهو ١٢ علم الباطن وعلم السرّ بينه وبين أوليائه، وعلم الوساوس والخطرات واللواحظ والإشارات والاستئناس والمَواجيد، وذلك للصوفيّة، ولهم في ذلك (٣٧) أحوال ومقامات وكشوف ومشاهدات ورموز وإشارات، قد خُصُّوا من بين البريّة بذلك.

١٥ فيُرْوَى عن أحمد بن غسّان، قال: سألت الهجيمي عن علم الباطن، فقال: سألت عبد الواحد بن زيد عن علم الباطن، فقال: سألت الحسن عن علم الباطن، فقال سألت حُذَيفة بن اليَمان عن علم الباطن، قال: سألت رسول الله ﷺ عن ذلك، ١٨ فقال: علم بين الله وبين أوليائه لم يطّلع عليه مَلَك مُقرّب ولا أحد من خلقه، ثم لكلّ ظاهر باطن ولكل باطن سرّ ولكل سرّ حقيقة، وهو ما وهب الله عزّ وجلّ لأوليائه سرًّا

---

٥) الاكتساب: للاكتساب ص ٨) فذلك: وذلك ص ١٥) أحمد بن غسّان – الهجيمي: الجهيمي قال: سألت أحمد بن غسان ص، راجع المقدمة الألمانية.

---

٩) القرآن الكريم ١٨/٦٥.

١٨) كتاب التعرف ١٠٥، –١؛ رسالة القشيري ٤٤٤؛ قوت القلوب ٢، ٢٢ – ٢٣.

بسرٍّ ، وذلك من علامات الولاية ، والأولياء يعيشون بذلك ويحيون به حياةً طيّبة ، فهم أعزّ خلق الله بعد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وعلومهم أعزّ العلوم .

وقد رُوي عن خالد بن معدان قال ، قال رسول الله ﷺ : إنّ من العلم شيئًا مَكنونًا ٣ أو مَدفونًا لا يعلمه إلاّ العلماء بالله عزّ وجلّ ، إذا نطقوا به لم يجلّوه لأهل الغرّة فلا تُحقّروا عبدًا آتاه الله علمًا فإنّ الله عزّ وجلّ لم يحقّره لِما استودعه علمه ، فالمكنون والمدفون هو علم السرّ وهو مَوهِبة من الله عزّ وجلّ غير مكتسبة بكُتُبٍ ولا دراسةٍ ولا حفظٍ ، يتبع ٦ ذلك حقائق الاجتهاد والتحرّك باستعمال علم الظاهر بالطاعات ، وذلك علوم المعارف واستنباط دقائق المعاني من صفاء الفكر وإخلاص الذكر ، فخصّ الله عزّ وجلّ أولياءه بالحكمة وعلوم تحقيق الولاية ، لأنّ ذلك علامة الأصفياء وحقيقة الأتقياء وسيرة الأولياء ٩ الذين حفظوا أعينهم عن المحارم وغَضُّوها ، فعوَّضهم الله عزّ وجلّ بحقيقة في نظرهم حتى صار نظرهم عبرةً ، وحفظوا ألسنتهم من الكذب والبهتان والغِيبة ، فحبسوها بطول الصمت فأورثهم الله بترك الكذب صدقًا ، وبترك البُهتان والغِيبة ذكرًا ، وخَوَّلَهم (٣٨) ١٢ بالصمت الدائم فكرًا ، فأبدل الله عزّ وجلّ لهم في كلّ حاجة عِوَضًا عمّا أمسكوا عن حظّها ، واستعملوا العلم في ردّها ، واشتغلوا بمحاسبة حرَكات الجوارح تعبّدًا وتسيّرًا في عزيز طريق الخاصّ ، فأخذوا عن الله عزّ وجلّ أدب السير إليه بحفظ الجوارح وفراغ ١٥ القلب ، وساروا إلى الله عزّ وجلّ حتى صاروا في حقيقة الخصوصيّة ، فبدّلوا في الحواسّ مكان إمساكها إرسالاً ، أمّا العين فأُمسكت عن المحظور فأُرسلت بالعبرة ، وأمّا اللسان فأُمسك عن الفضول والبُهتان فأُرسل بالحكمة ، وكذلك سائر الجوارح بمثلها ، فإذا الحقيقة ١٨ اشتملت عليهم فحفظتهم بوَجْدها وحمتهم بغيرتها وأرسلتهم بحكمها حتى صار نطقهم حكمةً وصمتهم فكرةً ونظرهم عبرةً ، فبالحقّ نطقوا وللحقّ سكتوا وبالحقّ نظروا إلى ما أباح الله عزّ وجلّ لهم ، فاعتبروا به وغَضُّوا عن غيره ، فنطقهم حكمة . ٢١

والحكمة لأهل الخصوص من أهل الباطن والأسرار ، خوّلهم الله عزّ وجلّ ذلك لِيُحَبّبوا بها الخلقَ إلى الله عزّ وجلّ ، والعلم الظاهر مبذول يوجد بالاكتساب بالكتب والحفظ والدرس ، وعلم الباطن من مواريث تحقيق علم الظاهر واستعماله والإخلاص ٢٤ فيه ، وعلم السرّ موهبة يتبعها الاكتسابُ والمحاسبة وحفظ النفوس عن ملاذّ حظّها وشهيّ لذائذها .

وكلّ ذلك حكمة ، فمنها ظاهر ومنها باطن ومنها سرّ ، فبالظاهر عرفوا حقائق الأمور ٢٧

وبالباطن رفعوا حقائق النفوس، فبذلوا لله عزّ وجلّ المُهَج، ثم العلم دليل والحكمة ترجمان، فبالعلم يسير السائر ويمضي الدارج، وبالحكمة يرتقي المريدون في سير السرّ، وقد
٣ قال بعض أصحابنا: رأيت أبا سعيد الخرّاز يصلّي في المسجد فسلّم وقال لي: اكتبْ ما دُفِعَ لي: إنّ الله عزّ وجلّ جعل العلم دليلاً عليه ليُعْرَف والحكمة ترجمةً عنه ليُؤْلَف.

فمن حقائق الظاهر معرفة الباطن ومن حقائق الباطن معرفة السرّ ومن حقائق معرفة
٦ السرّ **(٣٩)** معرفة الحقّ سبحانه وتعالى، وأصل المعرفة من عين الجود وبذل المجهود، فبذل المجهود من مواريث عين الجود، والله عزّ وجلّ الجوّاد الوهّاب.

فهذا بعض حقائق علوم الصوفيّة وأهل المعرفة من أهل الباطن، وكلّ ذلك مواريث
٩ كشف اليقين وحقائق شواهد الإيمان، خصّ الله به من شاء والله وليّ التوفيق.

(١٠)

باب
خُصُوصيّة الصوفيّة

١٢ وأمّا الذي خصّ به الصوفيّة في أحوالها ومعانيها من جميع العموم والخصوص فالتوكّل لأنّ الصوفيّة أجلّ خلق الله في التوكّل، وهم معروفون بذلك، وذلك شأنهم وعامّة أوقاتهم لأنّهم سمعوا الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾،
١٥ وسمعوه يقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِيْنَ تَقُومُ﴾، فتوكّلوا عليه واعتمدوا على حسن اختياره، وألقوا الأكتاف بين يديه، وتبرّأوا من الحول والقوّة، فرضوا عن الله عزّ وجلّ في كلّ أحوالهم في الضرّاء والسرّاء والشدّة والرخاء، قال الله عزّ
١٨ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

فالصوفيّة توكّلوا على الله في كلّ الأسباب، لأنّ التوكّل في جميع الأشياء مأمور، والتوكّل على معانٍ كثيرة: توكُّل عامّ وتوكّل خاصّ وتوكّل بإسقاط رؤية التوكّل، فالتوكّل

---

١) لله: الله ص ١٢) فالتوكل: كالتوكل ص ٢٠) فالتوكل: فتوكل ص.

---

١٤) القرآن الكريم ٢٥/٥٨.
١٥) القرآن الكريم ٢٦/٢١٧ – ٢١٨.
١٨) القرآن الكريم ٦٥/٣.

العامّ توكّل المؤمنين عامةً وهو يليق بالإيمان ، وكلّ مؤمن استحقّ اسم التوكّل على قدر إيمانه ، ثم للصوفيّة توكّل خاصّ في حقيقة الإشارة ، ويكون الغالبَ عليهم في أحوالهم وحركاتهم وأسبابهم ، وتوكّل خاصّ الخاصّ التوكّل بالغيبوبة عن رؤية التوكّل وطرح التدبير وترك جميع الأشياء من الاختيار ليقوم الحقّ بما له عنه ، وحقيقة التوكّل أن لا يملك شيئًا ولا يملكه شي. ٣

والتوكّل من زيادات اليقين والمعرفة ، وقد قال النبيّ ﷺ : لو أنّكم تتوكّلون على الله حقَّ توكّله لَرُزقتم كما تُرزَق الطير تَغْدُو (٤٠) خِماصًا وتَرُوحُ بطانًا. ٦

وتوكّل الأرزاق على أوجُه : فأوّل حقيقة المتوكّل رؤية الرزق قبل الرزق ، والثانية الركون إلى الضمان ، والثالثة التوكّل بالكفاية ، ويُروى عن أبي ذَرّ رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال : يا أبا ذَرّ ! لو أنّ الناس أخذوا بهذه الآية لكفتهم : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ، وقد قيل إنّ التوكّل تخلية الهمّة من الطمع ، وخلوّ اليد من الجَمْع ، وإجابة الحقّ بالطاعة والسمْع. ٩ ١٢

وللصوفيّة في التوكّل إشارات ولهم قبل تحقيقه رياضات في الدخول في الفلوات والانفراد في الصحارى ومقاساة الجوع ومجاهدة النفوس وتسليمها وطرحها بين يدي الله تعالى ، وحُكي عن الشِّبْلي رحمة الله عليه ، قال : إنّ دخول الفقراء في البادية بلا زاد تهلكة ولا توكّل لهم ، فيطالبهم الحقّ بتلف نفوسهم ، قال : ليس كذلك ، إنّما مطالبة الحقّ لمن طلب منه نفسه فلم يفده له ، أما سمعتموه يقول : ﴿إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ ، فمن فداه بما له فله الجنّة ، ومن فداه بنفسه فله الحقّ ، والتوكّل في الحقيقة ينسي النفس وما لها ، والمتوكّل مُسلّم النفس لصانعها ، ومتعلّق بعزيز وعده لها ، ومَكفِيّ بما ضمن الحقّ منها. ١٥ ١٨ ٢١

وأكثر إظهار الآيات على الأولياء في وقت الضرورات وتحقيق التوكّل على ربّ

---

٢) عليهم : عليه ص.

---

٦ – ٧) المعجم المفهرس ٣٠٥/٧.
١٠ – ١١) القرآن الكريم ٦٥/٢ – ٣.
١٦) قارن تأريخ بغداد ٣٩٢/١٤ ؛ Reinert, Tawakkul 197-207; 269
١٨ – ١٩) القرآن الكريم ١١١/٩.

البريّات، وقد قال إبراهيم الخوّاص رحمة الله عليه وكان سيّد المتوكّلين: كان بدء خوضي في التوكّل أنّي كنت أسير في الصحارى والقفار فخرجت يومًا إلى بعض الصحارى
٣ فبقيت فيه ثلاثة أيّام ولياليها، فلمّا كان صبيحة اليوم الرابع، وجدت ضَعْفًا وعارضتني البشريّة حتى كأنّي شككت في أمر الرزق، فإذا أنا بأربع حيّات عِظام قد أقبلتْ حتى حضرتْ قُدّامي، (٤١) قال، فأنِستُ بها بما أقبلت، قال: فهمهمتْ وصفّرتْ فما
٦ سمعتُ نغمةً أحسن من صفيرها، قال: فخنقتني العَبْرَة، فبينا أنا أبكي إذ نطقتْ واحدة منها بلسانٍ ذَلِقٍ طلق فصيح فقالت: يا أبا إسحق هل شككتَ في خالقك؟ قال، فقلت: لا! قالت: فلِمَ شككتَ في رازقك؟ فقلت: ومن أين قلتِ ووقفتِ على
٩ خاطري؟ فقالت: أوقفني عليها الذي هو في جميع الأوقات حاضري! ثم قالت: نحن من بلدان شتّى قد جمعنا على عزم التوكّل، قال: فأردتُ أن أستفتحها في الكلام، فقلتُ: لا بُدَّ وإن توكّلت من طعامٍ وإن كان ذلك أحيانًا؟ قال: فأجابتني وقالت: لا
١٢ تحكم على السرائر فإنّ الله عزّ وجلّ ضامن بأنْ يُشبعهم بذكره، وأرواهم حتى لا يذكرون شيئًا من معاش الخلق ولا يخطر بقلوبهم إلاّ في أوقات الفتور والعقوبات، فقلتُ: سبحان الله حيّة تنطق بما أسمع! وجاءتني الغيرة وذلك في سرّي، قال:
١٥ فقالت: لا تنسَ أدَبك يا أبا إسحق! ألم أنهكَ أن تحكم على السرائر وأن تزدري بخلقه، إنّ الذي خلق أباك من التراب أنْطَقَني وأنا مؤدّية عنه، ومنه وبه تحرّك سرّي! وأعجبُ من ذلك يا إبراهيم أنّا كُنّا بوادٍ من الأودية بيننا وبينك مسيرة شهر
١٨ فأحضرنا الله عزّ وجلّ بحضورك هذه البقعة! قال: فتعجّبتُ وزادني عجبًا، فقلت: وما لي أراكِ تتكلّمين من بين أولئك وهنّ صُمّات؟ قال، فقالت: يا أبا إسحق إنّ لله عزّ وجلّ سفراء بينه وبين خلقه، ولهم أخِلاّء ووزراء وتلامذة، وهؤلاء قد ألِفْن بكلامي
٢١ وسلّمن إليَّ جوارحهنّ ورضين بي سفيرًا بينهنّ وبين حبيبهنّ، وإنّكَ ستبلغ أعلى منازل الصدق، وأنت عَلَم التوكّل، وإنّك وأصحابك على الحق ما سكت المريدون واستعملوا (٤٢) الأدب مع السفراء، فإذا أفرط السفير وترك الاقتضاء للحقّ من سرّه وجاء في
٢٤ طريق الحقّ وأراد بالمريدين الرياسة والتباري والمباهاة عُوتِب، وكان أوّل عقوبته صَوْلَة

---

٣) اليوم: يوم ص ‖ عارضتني: عارضني ص ١٦) مؤدية: مؤدي ص ‖ تحرك: تحركت ص ١٧) بواد: بوادي ص ‖ ١٩) تتكلمين: تتكلم ص ‖ وهنّ: وهي ص ٢١) جوارحهن: جوارحهم ص ‖ رضين: رضوا ص ‖ بينهن: بينهم ص ‖ حبيبهن: حبيبهم ص ٢٤) بالمريدين: المريدين ص.

المريدين عليه وقلّة مبالاتهم به ، فإذا رأيت يا أبا إسحق المريد ينطق بين يدي السفير
والسفير يحتمل فاعلم أن البركة عند ذلك قد رُفِعَت ، وعلى الدنيا الدبار ، قال : فلا
٣ أدري أأرض ابتلعتهنّ أم سماء اقتلعتهنّ ، فبقيت أنا في ذلك الوادي أربعين يومًا ، فما
رأيت ولم يخطر في الأربعين يومًا على سرّي ذكر طعام ولا شراب ولا نعست فيه ، وكان
الوادي بجنب بادية الكوفة قفرًا لا أنيس بها ، قال : فلمّا كان بعد صبيحة الأربعين ،
٦ حضرت الحيّات وسلّمن عليّ فرددتُ عليهنّ السلام ، فقالت المتكلّمة منهنّ : يا أبا
إسحق هل فطنت أنّك كنت ضيفنا هذه الأربعين يومًا ؟ فإنّي سألت مولاي عزّ وجلّ أن
يذيقك من بعض غذاء الصدّيقين ، وأنا أستودع اللهَ سرَّك ، وكان في فيها نرجسة فناولتنيها
٩ وغِبْنَ عنّي ، وأنا متحسّر على فراقهنّ ، قال أبو إسحق : فما زلت في الأربعين يومًا أجد
في حلقي لذّةً وأجد شبعًا وأجد رائحة كلّ عطرٍ كأنّ الوادي يفوح مِسْكًا ، فهذا أوّل ما
أراني الله عزّ وجلّ من الآيات .

١٢ ثم للصوفيّة في التوكّل أوقات وضرورات ولهم حكايات جَرَت عليهم في أحوالهم ،
وأراهم الله عزّ وجلّ بعد صحّة يقينهم في التوكّل ما ازدادوا < به > يقينًا ومعرفةً ، وقد
قال الخوّاص : مَن خاف من شيء سوى الله فقد خرج من التوكّل ، وقال : المتوكّل إنْ
١٥ دخل البادية فرأى الأسد قد أقبل من خلفه فوضع يده على عانقه ليقتله فنظر إلى خلفه
خرج من التوكّل ، وللخوّاص في التوكّل كتاب يحكي فيه رسوم التوكّل وحقائقَه وترتيبَه .
والتوكّل لأهل التوكّل : قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ،
١٨ **(٤٣)** وقال سهل بن عبد الله : التوكّل من ثلاثة أصناف : صنف يأكلون من حسناتهم ،
وصنف يأكلون من إيمانهم ، وصنف الله يُطعمهم ويسقيهم ، فالصوفيّة مخصوصة بالتوكّل
لموافقة محبّة الله عزّ وجلّ ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ .

---

٦) المتكلمة : المتكلم ص ٢٠) إنّ الله : والله ص .

---

١٧) القرآن الكريم ١٢/١٤ .
١٨) قارن Reinert, Tawakkul 285-291
٢٠) القرآن الكريم ١٥٩/٣ .

(١١)

باب
حرفة الصوفيّة

٣ وأمّا حِرْفَة الصوفيّة فترك التجارات وترك ما يُشغلهم عن الطاعات رغبةً في فراغ القلب من الوسواس والبلايا ، فإنّهم يعرفون فراغ القلب وراحته ، فآثروا جميعًا ذكر الله على الأسباب ، وبذكر الله عاشوا وقاموا ، وما يُلهيهم عن ذكر الله عزّ وجلّ كسبٌ ولا
٦ تجارة ولا شرًى ولا بيع ولا سعي ولا حركة في طلب الدنيا.
فالصوفيّة سمعوا الله عزّ وجلّ يقول: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ ، فتركوا التجارات والاكتساب لأنّ الاكتساب والتجارة مباحٌ ونَافِلةٌ لا فرض ،
٩ لأنّ الكسب والتجارة مباح على حكم الكتاب والسُّنّة فمن اختار العبادة والزهد على الكَسْب والتجارة فهو الأفضل ، وقد قال النبيّ ﷺ : ما بُعِثْتُ تاجرًا ولا زرّاعًا ، وقال ﷺ : ما أُوحيَ إليَّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ، ولكن أُوحيَ إليَّ أنْ :
١٢ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ، وقد قال لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : لا تكوننّ تاجرًا ولا خائنًا فإنّ أولئك المنقوصون يوم القيامة ، وسئل الشِّبْلي عن قول النبيّ ﷺ : أطيَبُ ما يأكل العبد مِن كسبه ، قال : إذا
١٥ مدّ يده إلى الله عزّ وجلّ ودعا بهما ، فالاشتغال بالله عزّ وجلّ أَولَى من الكسب وأحرَى من التجارة إذا كان العبد قويًّا في توكّله ويقينه ، وما عند الله خيرٌ ، والله عزّ وجلّ يرزق العبد من حيث لا يحتسب ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
١٨ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ (٤٤) لَا يَحْتَسِبُ﴾ ، فإذا اشتغل العبد بالله عزّ وجلّ غرّم الله عزّ وجلّ السماوتِ والأرضَ رزقه ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

---

٣) حرفة : خرقة ص ٤) جميعًا : جميع ص ٨) مباح – فرض : مباحًا ونافلة لا فرضًا ص
١٢) فسبح : سبح ص.

---

٧) – ٨) القرآن الكريم ٣٧/٢٤.
١٢) القرآن الكريم ٩٨/١٥–٩٩.
١٤) المعجم المفهرس ١١/٦.
١٧) – ١٨) القرآن الكريم ٢/٦٥ – ٣.
١٩) – ٢٠) القرآن الكريم ١١/٦٢.

فالصوفيّة تركوا التجارات لِما أثنى الله عزّ وجلّ على التاركين ذلك والمؤْثرين تجارة الآخرة عليه، فإنّها تجارة لن تبور، فآثروا عبادة الله على الكَسْب، وتوكّلوا في الأرزاق ٣ على الكفيل الضامن عزّ وجلّ، ووافقوا السُّنّة في ترك ما يُشغلهم عن الله عزّ وجلّ، فلمّا رأوا الكَسْب مباحًا بشرائطه ورأوا المعاش من أوجه شتّى، وعلموا أنّ الله عزّ وجلّ لا ينسى أولياءه ولا يُضيعهم، اشتغلوا بطاعته وعبادته وآثروها على سائر الحركات.

٦ فلمّا صحّ لهم الترك بحقيقته افترقوا في الأحوال: فتارِكٌ جلس على التوكُّل وانتظر وقت مراد الله عزّ وجلّ فيه، فإذا أصابه ضرّ أو جوع صَبر واجتهد إلى أنْ رزقه الله من حيث لا يحتسب، وتارِكٌ جلس فاشتغل بعبادة الله عزّ وجلّ فإذا ورد عليه الضرورة ٩ والفاقة تعرّض للمسألة، فسأل مقدار ما سدّ به جَوْعته، فأكل ذلك وعاد إلى عبادة ربّه عزّ وجلّ، وها هنا تارِكٌ جلس فرفع الأطماع وحمل ثقل الجوع ومرارة الصبر وعلم أنّ الله عزّ وجلّ مُفَتّح الأبواب ومُسَبِّب الأسباب، فإن آتاه الله عزّ وجلّ رزقًا من غير مسألة ١٢ ولا إشراف نفس قَبلَ، وإلاّ صبر، وتارِكٌ جلس فنسي جميع الخلق ونفى عن نفسه رؤية الخليقة، ثم انتظر ما يقع في قلبه عند الفاقات وأصغَى إلى خواطر سرّه، فإن أذن الحقّ له في التحرّك في الطلب طَلَبَ وسأل من غير رؤية واسطةٍ، وإنْ لم يأذن له الحقّ ١٥ جلس وراقب السرّ.

فهذه أحوال الصوفيّة في الترك والمسألة ولهم حقائق تعلو عن الوصف ولطائف من الحقّ في وقت الفاقات والضرورات، وكذلك في سائر الأوقات، وأمور الصوفيّة **(٤٥)** ١٨ عجيبة وأحوالهم ظريفة، وقد حُكي عن بعض أصحابنا أنّه مدّ يده إلى رجل فأشار إليه بشيء، فامتنع الرجل وصَال عليه، فرجع، فقال له الرجل: وَيْلَكَ صلتُ عليك فلم تغضب! فقال: لو كنتُ مادًّا إليك يدي لَقُطعت يدي! فكان مدّ يده إلى الحقّ فرأى ٢١ المنع من الذي طمع في عطائه، وكان بعضهم إذا جاع يرفع فاه إلى الناس فلا يأخذ بيده شيئًا، فكان الناس يُلَقّمونه، فحين شبع عاد إلى موضعه.

وكثير من خيار الصوفيّة والفقراء تعرّض بحسن التعرّض، فكان لهم في التعرّض سرّ لم ٢٤ يطّلع عليه إلاّ البارئ عزّ وجلّ، وقد قال بعض أصحابنا: مُذ علمتُ أنّ الصدقة تقع في يد الله ثم في يد السائل، ما أخذت شيئًا إلاّ منه، وحُكي عن المرتعش حكاية لطيفة:

---

١٢) ونفى: نفى ص ٢٣) سر: سرًّا ص.

قد أشار إليه فقير بشيء وتعرّض له ، فامتنع عن ذلك ، وكان ذلك في بدء أمره ، وذلك أنّ المرتعش كان ابن دهقان بنيسابور ، فذكر بدءه أنّه كان جالسًا على باب داره ، قال المرتعش : فإذا أنا بشابّ عليه مرقّعة وعلى رأسه خِرْقة ، فأشارَ إليّ متعرِّضًا إشارةً لطيفةً ، فقلت في نفسي : شابّ جَلْد صحيح لا يأنف ، ولم أردّ عليه جوابًا بعدُ ، قال : فصاح الشابّ صيحةً هالتني وقال : أعوذ بالله ممّا خامَرَ سِرّي ! فقال المرتعش : فغُشي عليّ ، فخرجت جارية لنا فرأتني فاجتمع حولي خلق كثير ، فما أفقتُ إلاّ بعد حين ، فلمّا أفقتُ لم أَرَ الشابّ ، فتحسّرتُ على ما كان منّي ، فرأيت تلك الليلة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم والشابّ معه مشيرًا إليّ بعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يُنبِّهني ويقول : إنّ الله تعالى لا يُجيب سؤالَ مانعِ سائله ! قال المرتعش : فانتبهت وفرّقت ما في يديّ وما نالتْ ، وخرجتُ وسمعت وفاة والدي وأخي بعد خمس وعشرين سنةً ، وما رجعتُ إلى نيسابور بعد ذلك ، وصار منعي الشابَّ عيبًا ما فارقني الحياء ولا يفارقني حتى اللقاء ، فبان في هذه الحكاية (٤٦) حقائق السائل بعد الترك والتارك بعد الجمع ، وللصوفيّة في الترك إشارات خفيّات وافقوا بذلك الحقّ باتّفاق طاعاته وعباداته .

(١٢)
باب
أحكام الصوفيّة

وأمّا أحكام الصوفيّة ، فالصبر على البلوَى ، واحتمال الشدائد من الأمور والمكاره من الأسباب ، وذلك ميدان الصوفيّة لأنّهم سمعوا الله عزّ وجلّ يقول : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾ ، وسمعوه يقول : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ، وسمعوه يقول : ﴿الصَّابِرِيْنَ وَالصَّادِقِينَ﴾ ، وسمعوه يقول : ﴿وَالصَّابِرِيْنَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِيْنَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوا﴾ .

٥) هالتني : هالني ص.

١٧) – ١٨) القرآن الكريم ١٢٧/١٦ .
١٨) القرآن الكريم ١٥٥/٢ .
١٨) – ١٩) القرآن الكريم ١٧/٣ .
١٩) – ٢٠) القرآن الكريم ١٧٧/٢ .

فالصبر حبس النفس عن الحظوظ والوقوف في ميادين البلوَى، فالصوفيّة في ميدان البلوَى يجولون، لأنّهم حين ادّعوا المعنى ابتُلوا، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ أبلَى المؤمنين وامتحنهم وفتنهم ليستخرج منهم حقائق الإيمان بالرضى والصبر في البأساء والضرّاء، قال ٣ الله عزّ وجلّ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، فأبان الله عزّ وجلّ للمدّعي الإيمان افتتانَه، وأنّ حقيقة الإيمان الصبر على الشدائد بحقائقها، ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٦ الْكَاذِبِينَ﴾، فصِدْق المؤمنين تبيّن عند نزول البلوَى والمصائب والضرّ والبؤس.

وخصوصيّة الصوفيّة في الصبر في فَناء النفوس تحت أحكام الحقّ، لأنّهم حين أشاروا إلى الحقّ ادّعوا، وحين ادّعوا ابتُلُوا، لأنّ الدعوَى مقرونة بالبلوَى، والصوفيّة للبلاء ٩ خُلقوا، وفي البلاء رُبّوا، وفي البلاء عيشهم، وفي البلاء سَيرُهم، ومن البلاء نطقهم، وفي البلاء وجودهم، وإلى البلاء قصدهم، والبلوَى اختيارهم لأنّهم وجدوا الله عزّ وجلّ اختبر أولياءه وأصفياءه فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ ١٢ وَالصَّابِرِينَ﴾.

فأهل التصوّف صبروا على البلوَى واختاروها لأنّهم يحتملون الكلّ بمشاهدة الحقّ، إذ يقول الله عزّ وجلّ: (٤٧) ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، فمشاهدة الحقّ ١٥ أخذتهم عن مرارات التصبّر وتجرّعِ الصبر وجوعِه، فيعيشون تحت عزيز اختياره ولطيف اختباره.

والله عزّ وجلّ يختبر أولياءه بمقدار تفاوت معارفهم وقوّة يقينهم، ثم يختارهم ١٨ بكريم اصطفائه وجليل اختباره، فلذلك هم أشدّ الناس بلاءً بعد النبيّين والمُرسَلين، وقد قال النبيّ ﷺ: أشدّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأولياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل. ٢١

فأهل التصوّف افترقوا في احتمال البلوَى واختيارها: فمنهم من لا يختار البلوَى ولكن

١٢) ولنبلونكم: لنبلونكم ص.

٤) القرآن الكريم ٢/٢٩.
٦ – ٧) القرآن الكريم ٣/٢٩.
١٢ – ١٣) القرآن الكريم ٣١/٤٧.
١٥) القرآن الكريم ٤٨/٥٢.
٢٠ – ٢١) المعجم المفهرس ٨٠/٣.

يُختَبَرُ بذلك فيصبر بعد اختباره ، ومنهم من اختارها وصبر عليها باختيار الحقّ ومراده ، ومنهم من طلب البلاء : إن وَجَدَه فرِح به وصبر عليه ، وإنْ لم يجده حزن فوته ، ومنهم
٣ من إذا فقد البلاء استغاث إلى الله عزّ وجلّ فسأله ، ومنهم من استقبل البلاء بالدعاء وذلك حاله .

والبلاء يستخرج الحقيقةَ من أهل الدعاوى ، فمن شهد البلاء بالبلاء عجز وحُرِمَ ،
٦ ومن شهد البلاء بفقد البلاء تعدّى وظلم ، ومن شهد البلاء بتسليم البلاء نجا وسلم .

وقال أبو بكر الدِّينَوري : لا تشهد البلاء بالبلاء فيحجبك ، ولكن اشهد البلاء بتسليم البلاء فيحملك ، وقال بعضهم : لا تَرُدّ البلاء بالفرار منه فتهلك ، ولكن اقبل
٩ البلاء من المُبْلي واستعِنْ وسطه لتُدرك .

وأهل التصوّف حركاتهم مقرونة بالدعاوَى ودعاويهم مقرونة بالبلوَى ، لأنّ حركات الصوفيّة كلّها دالّة على الحقّ ومشيرة إليه بالصدق والكذب ، فأهل الصدق تنطق عليهم
١٢ الدعاوى ، فإذا اختُبروا بالبلوَى صبروا ولم يعجزوا ، فالصبر يشهد بصدق دعاويهم ، وأهل الكذب ينطقون بالدعاوى بلا بيّنةٍ ولا حقيقة وليس (٤٨) لهم الصبر ، لأنّ البلوَى تفضحهم وتذيع عجزهم وضعفهم .

١٥ ثم للصوفيّة في افتراق جريان الأحوال عليهم إشارات ، فتتغيّر عليهم الأحوال في البلوَى : فمنهم من يكون نطقه بلاءً ، ومنهم من تكون حركاته بلاءً ، ومنهم من يكون صمته بلاءً ، ومنهم من يكون سكوته بلاءً ، قد اختلفت أحوالهم في البلوَى ، وكثرت
١٨ إشاراتهم فيها ، فالحقّ يجمعهم في أصل المعنَى وبالبلوَى يُفرّقهم ليكون التفريق حقيقةً للجمع ، وذلك ما تدور عليه مذاهب الصوفيّة ، وما بقي من أحوالهم أكثر من أن يُحْصَى ويُحصَر .

(١٣)

٢١
باب
أخلاق الصوفيّة

وأمّا أخلاق الصوفيّة ، فحسن الخلُق ، ولين القَول ، وبذل السلام ، وطَلاقة
٢٤ الوجه ، وبشاشة الشاهد ، ومحبّة الفقراء ، والإيثار عليهم ، وإن كانوا في غاية الجهد

١١) مشيرة : مشير ص.

والخصاصة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ، فالإيثار من أخلاق رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، وقد تعلّقوا بخُلقه إذ كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خُلقًا ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ، فالصوفيّة اقتدوا بالنبيّ ﷺ في كلّ شيء حتى في الخُلُق ، وقد قيل إنّ التصوّف حسن الخُلق. ٣

وللصوفيّة في الخلق إشارات ، وقد قال ﷺ : إنّ الرجل ليبلغ بحسن خُلقه درجة الصائم القائم ، وذلك أنّ المصلّي يصلّي لنفسه ، وكذلك الصائم يصوم لنفسه ، والخُلق الحسَن يتعدّى منه إلى غيره ، فيفرح به مؤمن ويُسرّ به قلب كلّ مسلم ، وقيل : انتهى الصوفيّة إلى الخلُق ، وبالخلق يرغب الكافر في الإسلام ، وبالخلق يُجذَب الجاهل من الجهل ، وبالخلُق يُحبَّب الله إلى الخلق ، وبالخلق يُواسَى وبالخلُق يواصَل ، وبالخلُق يُدرَك جميع الخير ، ولقد دعا الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ (٤٩) إلى الخلْق في آيات كثيرة إذ يقول تبارك وتعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ، ويقول الله عزّ وجلّ : ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ، ويقول عزّ وجلّ : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ، ويقول عزّ وجلّ : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، ثم دعا الناس كافةً إلى حسن الخلُق ، وقال عزّ وجلّ : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ . ٦ ٩ ١٢ ١٥

فالصوفيّة أشاروا في الخلُق إلى التخلُّق بأخلاق الله عزّ وجلّ ، وذلك الخبر المرويّ أنّ لله عزّ وجلّ ثلاثمائة وستّين خلُقًا ، مَن أُتي بواحد منها دخل الجنّة ، ويُروى في الخبر أيضًا عن النبيّ ﷺ أنّه قال : إنّ الله رحيم يحبّ من عباده الرحماء ، فكذلك في سائر ١٨

٩) وبالخلق يجذب : وبالكفر يجذب ص.

١) القرآن الكريم ٩/٥٩.
٤) القرآن الكريم ٤/٦٨.
٦) – ٧) المعجم المفهرس ٧٤/٢.
١٢) القرآن الكريم ١٩٩/٧.
١٢) – ١٣) القرآن الكريم ١٢٥/١٦.
١٣) – ١٤) القرآن الكريم ١٥٩/٣.
١٤) – ١٥) القرآن الكريم ٩/٩٣ – ١١.
١٦) القرآن الكريم ٨٣/٢.
١٨) قارن : Massignon, Essai 214 ؛ ميزان الاعتدال ٦٧٣/٢ ؛ سيرة الأولياء ٩٩ ، ١٠ – ١١.

الأخلاق التي عظُم بها خلُق نبيّه ﷺ، وأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه الصلاة والسلام : يا داود تخلّقْ بأخلاقي ، وإنّ من أخلاقيَ أنّي أنا الصبور الشكور.

٣ فإشارات الصوفيّة في الخلُق من عين موافقة الحقّ بشرط التباين وفرق الربوبيّة والعبوديّة ، ثمّ من أخلاق الله عزّ وجلّ ما لا يجوز أن يتخلّق بها العبيد ، وذلك الجبروت والكبرياء والعظمة والبطش والسلطة وطلب المدح ، وذلك من أخلاق الربوبيّة التي انفرد

٦ بها ، وله العظمة والجبروت وحدَه ، لأنّه العزيز في وحدانيّته ، الجليل في فردانيّته ، انفرد عن الأشياء تعزّزًا وتجبّرًا ، واستعبد جميع خلقه بقدرته ، ثم دعا أولياءه بحسن الخلُق مع كلّ أحد ، فيُروَى أنّ الله عزّ وجلّ قال لموسى عليه الصلاة والسلام : يا موسى حَسِّن

٩ خلقك ولو مع كافر ، فخلُق الصوفيّة في التصوّف هذا ، وذلك أنّ أحكامهم أنّهم آثروا الله على ما سواه في بدء القصد ، وتركوا الدنيا زهدًا فيها ، فلم يكن عندهم أنّ الدنيا تصلح للإيثار (٥٠) على الله عزّ وجلّ ، فرموها إلى البرّ والفاجر حتى تجرّدوا وفنوا عن

١٢ الدنيا ، فرجعوا إلى أنفسهم فتركوا حظوظها وشهواتها لله عزّ وجلّ ، فحين عرفوا خساسة النفوس أنِفوا أنْ يؤْثروها على الله عزّ وجلّ ، فآثروها على أولياء الله للخدمة والفداء لهم ، فادّعوا في ذلك دعاوى وغاروا على الحقّ أن تكون النفوس تصلح لفداء أمر الحقّ ، ولهم

١٥ في ذلك منازل ومقامات ، والخلق لا تعدّ أحواله ورسومه ، وهو موهبة بالتوفيق من الحقّ وليّ أوليائه في أخلاقهم وأحكامهم.

(١٤)

باب

١٨ سَخاء الصوفيّة

وأمّا سخاء الصوفيّة فالبذل ، فمن كريم أخلاقهم أنّهم وافقوا النبيّ ﷺ ، إذ كان أسخَى خلق الله في العُسْر واليُسْر ، وما سأله أحد شيئًا قطّ فقال : لا.

٢١ والسخاوة أجلّ خُلق المؤمن ، وذلك لقلّة الدنيا عنده ، والسخاء والكرم من أخلاق المرسلين والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، ويُروَى أنّ الأولياء لم يتفاضلوا على

---

٣) فإشارات : فاشارت ص.
١٩) فالبذل : البذل ص.

سائرهم بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسلامة الصدر وسخاوة النفس، والله عزّ وجلّ يحبّ الأسخياء ويبغض البخلاء، إنّ البخل والشحّ من وصف النفس الأمّارة بالسوء، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وقد رُوي في الخبر أنّ الله عزّ ٣
وجلّ يقول لجنّات عدن: طوبَى لك منازل الملوك! وعزّتي وجلالي! لا يجاورني فيك بخيل، ويروَى أنّ الجاهل السخيّ أحبّ إلى الله من المؤمن البخيل، وفي السخاوة من الأخبار ما لا يُعَدّ ولا يُحْصَر. ٦

وبلغني أنّ السامريّ لما صنع العجل وأحرقه موسى عليه الصلاة والسلام فأراد موسى عليه السلام أن يقتل السامريّ فقال الله عزّ وجلّ لموسى: لا تقتل السامريّ! فإنّه سخيّ، فأَخَّرَ عذابَهُ إلى الآخرة سخاوتُه، وهذه دلائل ظواهر للسخاوة وبذل الأموال. ٩

وللصوفيّة في معنى السخاء إشارات ومعانٍ، لأنهم (٥١) بذلوا الأموال بظاهر السخاوة، وبذلوا الأخلاق بباطن السخاوة، وبذلوا النفوس بحقيقة السخاوة، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فالبرّ الجنّة، ولن تُنال إلاّ ١٢
ببذل المحبوب من الأموال، فلا ينال ولاية الحقّ إلاّ مَن بذل نفسه لله عزّ وجلّ، إذْ هي أحبُّ الأشياء إليه، وما أَخَذَ حظوظَها ومَنَعَها شهواتها سخاوةً وتقرّبًا بها إلى الله عزّ وجلّ. ١٥

والصوفيّة أسخَى خَلْق الله تعالى وأجوَد خلق الله تعالى في البذل والمواساة، ولا يقع اسم التصوّف على بخيل قطّ، ولا يشمّ رائحة التصوّف من يكون عنده عزازة الدنيا وعزازة النفس لأنّ ذلك من أخلاق البخلاء، فمن بذل ماله خالصًا لوجهه فله الجنّة، ١٨
ومن بذل نفسه خالصًا فله الحقّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، فأبان الله عزّ وجلّ بأنّه اشترى النفس، فمن باعها فله الحقّ، ثم قال بعد قوله عزّ وجلّ: أنفسهم: وأموالهم: بأنّ لهم الجنّة، فعِوَضُ النفس قُرب الله ٢١
عزّ وجلّ، وعِوَض الأموال الجنّة.

---

١) بسلامة: سلامة ص ٩) وهذه: وهذا ص.

---

٣) القرآن الكريم ٩/٥٩.
١٢) القرآن الكريم ٣/٩٢.
١٩) – ٢٠) القرآن الكريم ٩/١١١.

والصوفيّة تدّعي في السخاوة موافقة الحقّ في الجود وبُغض الدنيا ، فإنّ الله جوّاد يحبّ الجُود ، وخلق الله الدنيا فقلّلها ، فكيف يُقوّم العارفين بها وببذلها عِوَضًا ولا تزن الدنيا من
٣ أوّلها إلى آخرها عند الله جناح بعوضة .

فالسخاوة خلُق شريف سَنيّ ، وهو أوّل مقام الصوفيّة ، وحُكي عن يوسف بن الحسين أنّه قال : التصوّف ينزع عن أصحاب الحديث البخلَ ، والحديث ينزع عن الصوفيّ
٦ الجهلَ ، فبذل الصوفيّة المال للعامّة ، البَرِّ والفاجرِ ، بلا تمييز حقيقة السخاوة في الظاهر ، وبذل الصوفيّة النفوس للخاصّة بلا تمييز حقيقة السخاوة في الباطن ، وبذل الصوفيّة الأرواح للحقّ عزّ وجلّ بلا تمييز حقيقة السخاوة في السرّ ، وكل ذلك يتحقّق بالمحاسبة
٩ **(٥٢)** فيها ومراقبة الحقّ في تصرّفها ، فبذل المال بالعلم ، وبذل النفوس بالوَجْد ، وبذل الأرواح بالمشاهدة ، وأظهر الله عزّ وجلّ السخاوة الكاملة من الفقراء الموسومين بالتصوّف الذين عرفوا حقائق الأمور وكانوا أجود الناس وأسخاهم بعد النبيّين صلوات الله عليهم ،
١٢ جعلنا الله عزّ وجلّ من خالص أوليائه الذين بذلوا الكلَّ للحقّ فقام الحقُّ لهم عنهم ، إنّه وليّ قدير .

(١٥)
باب
مُوافَقة الصوفيّة ومُؤالَفتهم ١٥

وأمّا مؤالفة الصوفيّة بعضهم لبعض ومحبّتهم وموافقتهم ، فذلك تقديم مراد الله عزّ وجلّ فيهم ، فإنّه ألّف بين قلوب أوليائه في الأصل ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا
١٨ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ ، فمن الأُلفة تكون المحبّة ومن المحبّة تكون الموافقة ، ثم الألفَة غير مكتَسبة لأنّ الله عزّ وجلّ نفى عنها الاكتساب وتولاّها وهو الوليّ في كلّ الأحوال خاصّها وعامّها ، والمحبّة مكتَسبة لقوله ﷺ : تهادَوا
٢١ تحابّوا ! فالمحبّة مكتسَبة بالهديّة ، وقد قال ﷺ : جُبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبُغضِ من أساء إليها ، فبالإحسان تُكتسب المحبّة ومن المحبّة تكون الموافقة ، وحقيقة

---
١٧) – ١٨) القرآن الكريم ٨/٦٣.
٢٠) – ٢١) المعجم المفهرس ٧/٧٤.

الأُلفة سابقة في حقيقة الأرواح، داخلة تحت تقديم المعارف، وقد قال ﷺ: الأرواح
جنود مجنّدة، فما تـعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف، فمعرفة الأرواح قديمة وإظهار
ائتلافها حين قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فيُروَى في الخبر أنّ الله عزّ ٣
وجلّ لمّا أخرج الذُرّيّة من ظهر آدم عليه السلام على مثال الذرّ فقال لهم: ألستُ
بربّكم، فأحبت الذرّيّة واضطربت من حلاوة نغمة النداء، فكلّ روح سبق له من الله
عزّ وجلّ الألفة بينه وبين غيره، قرّبهم في وقت الحركات فألفوا، فكذلك تتعارف ٦
الأرواح وتتشامّ (٥٣) كما يتشامّ الخيل ليعرف بالشمّة حقيقةَ الألفة بالمعرفة القديمة
وعزيز مراد الحقّ في الأزليّة، والتعارف من سَبْق مراد المُعَرِّف في الائتلاف، فالأرواح
بنور الأُلفة تتعارف وبحقيقة مراد الحقّ في الائتلاف تُعرَف. ٩

والأُلفة من حقائق المؤمنين، وقال ﷺ في وصف المؤمنين: إنّهم يألفون ويؤلَفون،
ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلَف، وهي مخصوصة قدّر الله تعالى ذلك عزّ وجلّ بحكمته
وعزيز نعمته، فقال عَزّ من قائل: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ ١٢
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، فالنعمة الأُلفة التي جمعت بين قلوب المؤمنين.

والأخوّة تتبع الأُلفة، وهي مخصوصة ومعمومة، فأمّا الأخوّة المعمومة، فما قال الله
عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فهذه أخوّة الإيمان، فعمّتهم في ذلك. وأمّا ١٥
المخصوصة فهي المكتسبة في الظاهر وإن كانت إظهارًا لما هو غير مكتسب، وهو ما فعل
النبيّ ﷺ حين آخى بين المهاجرين والأنصار، وكانت تجمعهم عموميّة أخوّة الإيمان،
فدعاهم إلى الخصوصيّة فيها، وذلك مِمّا عَرَفَ مِنْ حُكْمِ الائتلاف بينهم وما كان خفيًّا ١٨
عنهم، فروى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لَمّا قدم عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه المدينةَ آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، قال: وكان

---

٥) فأحبّت: فأحب ص ١٥) فهذه: فهذا ص ‖ فعمّتهم: فعمهم ص ١٦) كانت: كان ص ‖
مكتسب: مكتسبة ص ١٧) وكانت: وكان ص ١٨) خفيًّا: خفي ص.

---

١) – ٢) قارن حلية الأولياء ٢/٨٤، – ٧؛ Leder, Ḏamm 231 f.
٣) القرآن الكريم ٧/١٧٢.
١٠) المعجم المفهرس ١/٧٦.
١٢) – ١٣) القرآن الكريم ٣/١٠٣.
١٥) القرآن الكريم ٤٩/١٠.
١٩) – ٥٠/٢) طبقات ابن سعد ٣/١/٨٨، ١٨–٢٦.

عند سعد امرأتان فعرض عليه أن يناصفه أهلَه ومالَه ، فقال له عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ! وإنّما ذلك مِمّا سبق لهم <من> الله عزّ وجلّ من الائتلاف ، فحين أراد الله عزّ وجلّ إظهار ذلك وقع حكم الإخاء ، فمن سبق له الأُلفة صحّ له الأخوّة .

وأمّا المحبّة في الله عزّ وجلّ فهي من عزيز الإيمان ، وهي داخلة في حقيقة الأخوّة متّصلة بها ، وقد رُوي عن النبيّ ﷺ عن الله عزّ وجلّ أنّه قال : حُقَّت محبّتي للمتحابّين فيَّ ، حُقَّت محبّتي (٥٤) للمتزاورين فيَّ ، حُقَّت محبّتي للمتباذِلين فيَّ ، فبمحبّة الله عزّ وجلّ تحقّقوا في الأخوّة وبها أَلِفوا ، ومحبّة الله عزّ وجلّ هي التي جمعتْهم <في> الأُلفة وخصوصيّة الأخوّة ، وقد قال النبيّ ﷺ وذُكر عنده الإخاء : إنّ أدنَى المتحابّين في الله أن يجتمعا بالشيء وهما مفترقان ، فإذا اجتمعا كانت همهمَا واحدة ، فالصوفيّة جمعهم الله عزّ وجلّ في الائتلاف حتى إنّ بعضهم يرد من المشرق والآخر من المغرب فيصيران كالواحد في التباذل والتألُّف ، ويكونان جميعًا كجسد واحد ، إذ كانوا بحقيقة التصوّف متّصلين وفي الإشارة لله صادقين ، فهذا حقيقة أخوّة الصوفيّة الصادقين في التصوّف ، وموافقتهم ومؤالفتِهم بموافقة الكتاب والسُّنَّة .

(١٦)
باب
معروف الصوفيّة

وأمّا معروف الصوفيّة ، فمن أصل الإشفاق على بني الجنس من حُرْمة الاجتماع في صُلب آدم عليه السلام ، وما جعل الله عزّ وجلّ في قلوبهم من النصيحة لولد آدم عليه السلام ، ثم اختار الله عزّ وجلّ الذين بذلوا النصيحة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، فقال عزّ وجلّ : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

١٠) يجتمعا : يجتمعان ص ‖ كانت : كان ص ‖ واحدة : واحد ص ١٢) يكونان : يكونوا ص .

٦) – ٧) المعجم المفهرس ٤٠٨/١ .
٩) – ١٠) المعجم المفهرس ٤٠٨/١ .
٢٠) – ١/٥١) القرآن الكريم ١١٠/٣ .

الْمُنْكَرِ﴾ ، فتعلّق حقيقة الاختيار باكتساب ما أمر الله عزّ وجلّ به ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وأمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ، وقال عزّ وجلّ في قصّة لُقمان :
٣ ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ واصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ ، وقال النبيّ ﷺ : لتأمرون بالمعروف ولَتنهون عن المنكر أو ليبعثن عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم .

٦ فالصوفيّة أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر بثلاثة معان : بأمر الله تعالى لأمر الله ، والشفقة والنصيحة والإصلاح بين الإخوان ، وخصوصيّة الصوفيّة في المعروف أنّهم لا يُبالون في الله لَومة لائم ، والصوفيّ إذا ورد عليه أمر من أمر الله عزّ وجلّ نسي في جنبه
٩ (٥٥) جميع الخليقة حتى نفسَه ، ولا يحمي دنياه ولا نفسه ولا يصون رياسته ، لأنّه يجتهد في نهي المنكر بالقول والجاه واليد ، فإن تغيّر وإلاّ غيّرَهُ بقلبه بشرائط وقته وحكم زمانه وعصره ، وذلك أضعف الإيمان .

١٢ ثم أمر المعروف ونهي المنكر من وجهين : بالعلم والوَجْد ، فأمّا الذي بالعلم والتمييز فبالمداراة واللطافة واللذّة واحتمال المكاره والصبر على المصيبة ، وأمّا الّذي بالوَجْد ، فذلك من حقيقة الغيرة وغلبة حقائق الإيمان ، يغير ولا يخطئ بالصولة والبطش فيمضي ذلك
١٥ على السَّداد ، وحُكي عن إبراهيم بن عيسى رحمة الله عليه قال : كنت ببغداد عند معروف الكَرْخي رضي الله عنه ، قال : فكنت أمضي معه يومًا من الأيّام ، قال : فلما وردنا شطّ الدجْلَة كان بعض أبناء الوزراء يلعب بالشطرنج ، قال : فبرز معروف وأخذ
١٨ رقعة الشطرنج وطرحها في الماء ، قال : فبقي ابن الوزير متحيّرًا ساكتًا ، ورجع معروف إلى بيته ، فلمّا رجع قال لي : يا إبراهيم إيّاك أن تفعل كما فَعَلْتُ فتهلك ، ثم من استعمل بحقائق الوجد من الصَّول وغيره في وقت التمييز والعلم في نهي المنكر كان ما أفسد أكثر
٢١ ممّا أصلح ، وإن استعمل العلم في وقت غلبة الوَجْد والغيرة كان ذلك ضعف الحال ، فهذا وصف معروف الصوفيّة بموافقة الكتاب والسُّنّة .

---

٦) ثلاثة : ثلاث ص ٧) – ٨) أنهم لا يبالون : انها لا تبالي ص .

---

٢) القرآن الكريم ٤١/٢٢ .
٣) القرآن الكريم ١٧/٣١ .
٤) – ٥) المعجم المفهرس ٩٩/١ .

(١٧)
باب
مُحاورات الصُّوفيّة

٣ وأمّا محاورات الصوفيّة وتناقرهم في خذلان أهل البدع وترك توقيرهم وهجرانهم لنصرة السُّنّة ، لأنّ الله تعالى قال : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ، فالصوفيّة معروفة بنصرة الدين متقوّمة عند أكثر الناس في تشديدهم وتشريكهم ، قد
٦ أقامهم الله عزّ وجلّ لحفظ دينه وجعلهم حُجَّةً على غيرهم من أهل العلم الظاهر ، فإذا لزم أهل العلم الأوطان وصانوا أنفسهم وأموالهم (٥٦) وأهل الدنيا الأسواقَ وأعمالهم وتصرّفهم ، فالصوفيّ قام على نصرة الدين وخذلان أهل البدع ، لأنّ الصوفيّ مجرّد فقير
٩ ليس له رعاية مال ولا دنيا ، ولا يداهن أحدًا من أهلها ، قد رضي من الدنيا بسدّ الجَوْعة وستر العورة ، ثم لا يبالي في الله عزّ وجلّ لَومة لائم ، قد كفاه في الدنيا نصرة دينه وصيانة فقره وأداء فرضه .

١٢ فالصوفيّة هم السيوف الشاهرة على أهل البدع والضلالات ، فيقتلونهم بالإعراض عنهم ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِيْنَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ، فأعرَضوا عن أهل الضلالات وهجروهم وتركوا توقيرهم ومؤاكلتهم ومشاربتهم طلبًا لمرضاة
١٥ الله عزّ وجلّ وعزازةً للسُّنّة وقوّةً للشريعة المستقيمة ، فهم أهل الأثرة من أهل السنّة الذين ينصرون دين الله عزّ وجلّ ، وهم ظاهرون منصورون .

وقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال : لا يزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا
١٨ يضرّهم خِذلان من خذلهم إلى أن تقوم الساعة ، ورُوي في بعض الأخبار أنّهم الفقراء ، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال : إنّ لله عزّ وجلّ عند كلّ بِدعة كِيد بها الإسلام وَلِيًّا يذبّ عنه ويتكلّم بعلاماته ، فاغتنموا تلك المجالس بالذبّ عن

---

٣) ففي : في ص ٧) الأسواق وأعمالهم : والأسواق أعمالهم ص ١٢) فيقتلونهم : فيقتلوهم ص
١٧) عن : من ص .

---

٤) القرآن الكريم ٧/٤٧ .
١٣) القرآن الكريم ٦٨/٦ .
١٧) – ١٨) المعجم المفهرس ٨٩/٤ .

الضعفاء، فحقيقة الخبر لمن تحقّق في المعنى ، فظاهر ذلك ما هو ظاهر في العصابة
المترسّمة بالتصوّف ، لأنّ همّة جميع الناس ما هم به مشغوفون من الدنيا وطلب الرياسة
وجمع المال والتفاخر ، وهمّة جميع أهل التصوّف ترك ما اشتغلوا به ونصرة الدين ورعاية ٣
الفقر ، فإذا رأيت الصوفيّ يداهن لأهل الدنيا ويسامح أهل البدع ويتواضع لأبناء الدنيا
فاعلمْ أنّه عارية في اسمه ، وصار جميع حركاته حجّةً عليه وجميع ما ناله من الدنيا باسم
التصوّف وما أكل به حرام عليه ، فإنّ من أكل بالفقر وجب عليه صيانة الفقر (٥٧) ٦
والدين ، وقد قال الزَّقّاق : من لم يتحقّق في الفقر أَكَلَ الحرام المحض ، وذلك لأنّ
الصوفيّ يأكل برسمه ويصون فقره ويقبل بدينه ، فإذا لم يسامح أهل الغِرّة من أهل الدنيا
الدنيّة يُصيبُهُ ، ثم اشتغل بعبادة ربّه وصيانة وقته فهو الصوفيّ، وإلاّ أكل بدينه . ٩

(١٨)
باب
مناقرة الصوفيّة ومناظراتهم

وأمّا مناقرة الصوفيّة ومناظراتهم فتكون عند جريان العلم وطلب الحقائق واستنباط ١٢
المعاني بعضهم من بعض في علوم الخطرات والإشارات والهواجس واللحظات والوساوس
ومقامات أهل الصفاء وأحوال المُقَرَّبين والفرق بين المريدين والمُرادين والطالبين
والمطلوبين في معاني أهل التصوّف. ١٥

وأصل مناقرة الصوفيّة أنّهم ادّعوا معنًى شريفًا وحكمًا لطيفًا فخُصّوا به ، ثم اختلفوا
في السير والقصد ، ولكلّ واحد منهم طريق وحال ، لأنّ الطُرُق إلى الله عزّ وجلّ أكثر
من نجوم السماء ، فهم في السير مختلفون ثم الحقّ يجمعهم على معنى واحد ، ولكلّ سائر ١٨
حال ، ولكلّ حال سرّ ، ولكلّ سرّ غلبة ، ولكلّ غلبة حقيقة.

وأهل التصوّف سائرون إلى الله عزّ وجلّ في الطرق : فمنهم من غلب عليه في الطريق
المحبّة ، ومنهم من غلب عليه الشوق ، ومنهم من غلب عليه الخشية والخوف ، ومنهم من ٢١

---
٢) به : فيه ص ١٢) فتكون : يكون ص.
١٧) – ١٨) راجع المقدمة الألمانية.

غلب عليه الرجاء ورؤية النعمة ، وكلّ واحد منهم ينطق عن حاله وغلبة وقته ، ثم منهم
راضٍ ومنهم صابر ومنهم قانع ومنهم شاكر ومنهم متوكّل ومنهم ذاكر من مواريث
٣ الأصول السابقة إلى القلب ، ومواجيد غلبات الأحوال في السرّ تتحقّق بشواهد العلوم
الدالّة على أحوال القلوب الشاهدة بتحقيقها .

ثم لكلّ حقّ حقيقة ولكل حال حقيقة ، فحقيقة الراضي ترك الاختيار والوقوف مع
٦ اختيار الله بلا جَزَع ، وحقيقة الصابر خَرَس اللسان عن الشكاية واحتمال (٥٨) الشدائد
بالرعاية ، وحقيقة القانع طيبة القلب بمرّ القضاء والرضى بما قسم الله عزّ وجلّ ،
وحقيقة الشاكر استعمال الشدائد والعزائم من العلم وطيبة القلب وتحريك اللسان بحمد الله
٩ من وَجْد القلب ، وحقيقة المتوكّل أن لا يملكه شيء ولا يملك شيئًا .

فهذا ما يكون فيه مناقرة الصوفيّة في اختلاف الوجود والعلوم والرسوم وطلب الحقائق
والفناء عن الأحوال ، وقد قال رُوَيم رضي الله عنه وأرضاه : ما زالت هذه الطائفة بخير
١٢ ما تناقروا ، فإذا تركوا المناقرة تركوا المذاكرة ، فالصوفيّة مناقرتهم جريان العلم وطلب
الحقائق بعضهم من بعض ، ثم غيرة الحقّ تلحقهم لئلاّ يركن بعضهم إلى بعض ، وقد
حُكي عن الجُنَيْد أنّه كتب إلى أبي سعيد الخرّاز أنّ الفقراء بورك يتناقرون ويقع البعض
١٥ في البعض ، فكتب إليه أبو سعيد : وأمّا مناقرة الفقراء بعضهم على بعض لأجل الدين
فلا بأس .

فهذه أحوال مناقرة الصوفيّة ، وأحوالهم على ذلك تجري لأنّهم في حفظ الحقّ ، والله
١٨ وليّهم ، جعلنا الله منهم برحمته .

---

٤) الشاهدة : الشاهد ص ٥) الراضي : الرضا ص ١٤) بورك : كذا .

(١٩)

باب
اختيار الصوفيّة

وأمّا اختيار الصوفيّة ، فله ظاهر وباطن ، أمّا ظاهر اختيارهم ، فالذلّ والتواضع ، ٣
وأمّا باطن اختيارهم ، فترك الاختيار ، وإنّما اختاروا الذلّ لقلّة النفوس وما عرفوا من
شرّيتها وكِبْرها وجبريّتها وطلبها العلوّ والارتفاع ، والله عزّ وجلّ يقول : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، فتركوا علوّ ٦
النفس واختاروا تذليلها ، وتواضعوا وتصاغروا وحقّروا أنفسهم لموافقة السنّة ، فإنّه يُروى
عن الحسن قال ، قال رسول الله ﷺ : أُوحيَ إليَّ أن أتواضع فتواضَعوا ! فالتواضع قلّة
النفوس عند جري أحكام الحقّ ، وتصغيرها عند قبول (٥٩) الحقّ ممّن كان صغيرًا أو ٩
كبيرًا ، برًّا كان أو فاجرًا ، اذا كان ناطقًا بالحقّ.

وقد قال الجُنَيْد : التواضع على ثلاثة معان : تصغير النفس في النفس ، وتصغيرها
عند غيرها ، وقبول الحقّ ممّن كان يترك التعزّز. ١٢

واختلف الصوفيّة في تذليل النفوس وتصغيرها : فمنهم من ذلّلها للمعرفة بأصلها ،
ومنهم من ذلّلها لثواب التواضع ، ومنهم من ذلّلها لوجود العداوة منها ، ومنهم من ذلّلها
لهوان الدنيا عنده وهوانها عليه. ١٥

ثم التواضع من أوجه : فتواضع بالعلم ، وتواضع بالوَجْد وتواضع بمطالبة الحقّ عزّ
وجلّ ، والمتواضع بالعلم تواضعُه خطراتٌ بمصاحبة العلم ، فإذا فقد ترك ، والمتواضع
بالوَجْد تواضعه مواريث وجوده ، فإذا تحقّق في الوَجْد صار التواضع حالَه ، والمتواضع ١٨
بمطالبة الحقّ يكون أبدًا صغير النفس حقير النفس ، كلّما ذكر ربوبيّة الحقّ ازداد تواضعًا
وخشيةً ، فمن تواضعَ بالعلم وتحقّق فيه رفعه الله في الدنيا والآخرة ، ومن تواضع بالوَجْد
وتحقّق فيه غيّبَه الله عن الخلق ، ومن تواضع بمطالبة الحقّ وأجاب صار مع الحقّ في ٢١
الدنيا والآخرة.

فهذا اختيار الصوفيّة بموافقة السنّة وموافقة أمر الله عزّ وجلّ.

---

١١) ثلاثة : ثلاث ص .

---

٥) - ٦) القرآن الكريم ٨٣/٢٨ ٨) المعجم المفهرس ٢٤٩/٧.

(٢٠)
باب
إسقاط الصوفيّة

٣ وأمّا إسقاط الصوفيّة ، فلحقيقة الإخلاص ، وإسقاط رؤية الناس والتبرّئ من تعبّد الخلق ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿أَلَا لِلّٰهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ ، وقال عزّ وجلّ : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ، وقال عزّ وجلّ :
٦ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ .

ثمّ الصوفيّة وجدوا نفوسهم بحبّ الإشراك في العبوديّة وأن تُحمَد بأفعالها ، وأن ترائي (٦٠) الناسَ بأعمالها ، لأنّ النفوس على هذه جُبِلَتْ ، فهي تميل إلى ثناء الخلق والرياسة
٩ والمحمدة بما لم تفعل ، وكلّ ذلك مستقيم في النفوس برؤية الخليقة ، لأنّ النفس ما دامت ترى الخلق لا بدّ لها من تعبّد الخلق إلى أن يأتيها العزم والرحمة من الله تعالى فتقهرها وتغني عنها بالصَّولة رؤية الخلق في معاملة الحقّ سبحانه ، وتصحيح ذلك بالإسقاط ،
١٢ وأن يرى جميع الخلق في جملة الأموات ، وأنّهم لا يملكون ضَرًّا ولا نفعًا ، لأنّ الرياء والشرك وعزّها يظهر من رؤية الخليقة والنظر إليهم والاستماع منهم وبما يأتون من المدح والإطراء والتزكية .

١٥ وليس شيء أضرّ على الصالحين والنُّسّاك والزهّاد بعد تحقيق أحوالهم والوقوف في حقائق مقاماتهم من ثلاث : من فتنة النساء ورؤية الخليقة وحبّ الرياسة ، وكذلك يضرّ على الصدّيقين والعارفين والصوفيّة إلاّ من عصمه الله وسدّده ووفّقه بالإسقاط والإخلاص
١٨ ليسلم دينه من غوائل النفوس وشرّيّتها ودقائق بوائقها ، وقلّ من ينجو منها ، والعجب ممّن نجا من ذلك كيف نجا ، فإنّ آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حب الرياسة ، وقد قيل : حبّ الرياسة داء لا دواء له .

---

٨) فهي : هو ص ٩) مستقيم : مستقيمة ص .

---

٤) القرآن الكريم ٣/٣٩ .
٤) – ٥) القرآن الكريم ١١٠/١٨ .
٦) القرآن الكريم ٥/٩٨ .
١٩) راجع المقدمة الألمانية .

فالصوفيّة تشمّروا لذلك بعدما طالبهم الحقّ بالإخلاص في توحيده والصدق في معاملته وصفاء الإشارة في الحقيقة إليه ، فمنهم من وقع له في نفس الإشارة حقيقة الإخلاص إلى الحقّ بإسقاط الدار ومن فيها ، ومنهم من وقع له بعد تحقيق الإشارة ٣ لصحّة معنى الإشارة ، فأشاروا إلى الحقّ بصدق الضمير وإخلاص المعاملة له ، ومنهم من وقع له بعد دعواه لصحّة القول وإخلاص الفعل فأشار إلى الحقّ بطلب صحّة القول وصدق العمل فيه ، فأمّا الذي وقع له الإخلاص في نفس الإشارة (٦١) فمن هو مراد ٦ للحقّ مطلوب من الحقّ ، وهو في أوّل لائح نُبّه ، وفي أوّل إشارة أُفني ، فهو للحقّ بمراد الحقّ ، وشواهد الحقّ أخذته عن رؤية جميع البريّة فهو مُخلَص لا مُخلِص.

وأمّا الذي وقع له بعد تحقيق الإشارة فمريدٌ أشار إلى الحقّ بالإرادة فطالبه الحقّ بعد ٩ ذلك بتحقيق إرادته وإخلاص همّته ، وعرّفه خبايا نفسه وتعلّقها بأبناء جنسها ، فتجرّد لنفي رؤية الخليقة بحقيقة الإسقاط ، وليس جميع الخَلْق بالجدّ والاجتهاد والصبر واحتمال البلوَى في اختلاف حركات ما تسقط به رؤية الناس ، فصار بعد تحقيق إخلاصه بجهده ١٢ مخلصًا وهو المخلص ، وأمّا الذي وقع له بعد دعواه فهو الذي رُدّ إلى عمله وتمييزه في توحيده ، فأخذ من التوحيد رسمه وتعلّق بظاهر شرعه ، فادّعى التوحيد برسمه ونطق بحقائق علمه فهو مستغنٍ في حركات ظواهره عن حميد أفعاله وطاعاته بإخفائها وإستارها ١٥ وكتمانها من الناس ، لكنّه بنفسه قائم أخلص العمل من رؤية غيره وبقي هو برؤية نفسه وله إخلاصه.

ثم في حقائق الجميع من حركات الإسقاط عجائب طُلبوا بها وطُلبوا بالإخلاص له ، ١٨ فبين من يُجَنِّن نفسه ووسم نفسه بالجنون ونطق بالهذيان ليسقط بذلك عن رؤية الناس ، وبين الراكب على القصبات والقائم على المصطبات واللاعب مع الصبيان في الأسواق ، وبين قائل بالكفريّات وموهم البريّات أنّه ليس من أهل الصدق في الإشارات ، كلّ ٢١ ذلك مخافةً من الإشراك وارتكاب الرياء ورغبةً في إخلاص التوحيد له وصدق العمل في السريرة من أجله خالصًا لا يتعلّق به رؤية بائر ولا عين ناظر ، ليكون الكلّ له وفيه خالصًا. ٢٤

ثم تكون أحوال الصوفيّة متضادّةً في الرسم لتقليب الأحوال عليهم بمراد الحقّ وصحّة قصدهم (٦٢) بالإخلاص له ، فترى الصوفيّة تارةً يبكون وتارةً يضحكون وتارةً يضطربون ويتحرّكون ، وتارةً يصلون وتارةً يأكلون، ويجتمع ذلك ربّما في وقت واحد ، ٢٧

فلذلك صارت الصوفيّة محيّرًا للعامّة وأكثرِ أهل النظر من الخليقة ، ومن شرائط القوم ترك عادات سائر الناس في الأكل والشرب وسائر الحركات ، إلّا فيما يجمعهم من الفرائض في
٣ الأوقات ، فحكم الصوفيّ أن يكون وقته راعيًا لسرّه ، في كلٍّ يرعى سرّه من التعلّق بغير الله عزّ وجلّ ، ويكون هو مستعبدًا طالبًا في جميع أوقاته معذّبًا في فتراته وغفلاته إذا كان صادقًا ، ويكون له في كلّ نَفَسٍ مطالبةً ولكلّ لحظة زجرًا وفي كلّ خطرة علمًا وفي
٦ كلّ إشارة معرفةً لزيادة المعرفة .

وطريق الإخلاص الخالص من وجهين : فطالب به ومطلوب ، أمّا الطالب فالمجتهد في إخلاص سرّه بالإسقاط والرياضة والجهد ، وأمّا المطلوب فالمسقوط شاء أم أبى ، وهو
٩ مأمور مزجور من السرّ ، فإنْ أجاب الحقّ أخلص وإنْ عقل أشرك .

وهذا حقيقة الصوفيّة في الإخلاص والإسقاط ، وقد حُكيَ عن الدِّينَوري رحمة الله عليه ، قال : نمت عن وِرْدي في بعض الأوقات لغلبة الجوع والضعف ، فسمعت هاتفًا
١٢ يقول : ليس الطريق ما تحسب : يعني الأوْراد الظاهرة ، إنّما الطريق لِمَ ولِمَن ، وإنّما عنى بذلك مطالبة الحقّ للأسرار وتحقيق إخلاص المعاني من رؤية الأغيار ، وذلك طريق الصوفيّة في الإشارة والقصد .

(٢١)

١٥ باب

سياحة الصوفيّة

وأما سياحة الصوفيّة فالخروج من بلد إلى بلد ، وذلك أحوال كثير منهم لأنّهم سمعوا
١٨ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿أَفَلَمْ يَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ، وسمعوه عزّ وجلّ يقول : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾ ، فسير الصوفيّة في الشرق والغرب لاستحكام الغربة وإظهار ما تحقّقوا به في الغربة (**٦٣**) من ترك الأوطان والأخدان ،

---

١٧) فالخروج : والخروج ص ‖ منهم : منها ص .

---

١٨) القرآن الكريم ٢٢/٤٦ .
١٩) القرآن الكريم ٢٧/٦٩ .

والتعلّق بالذّلّة والافتقار، لتكون أحوالهم في حركاتهم بموافقة إشاراتهم.

ثم لهم في السياحة معانٍ من رياضة النفوس وتحقيق الغربة وإخلاص التوكّل وتجربة النفوس ورؤية العبرات وفراغ القلب وترك تعبّد الأقارب والمعارف، يجتمع كلّ ذلك في ٣ سياحة الصوفيّة، وللمريدين السائرين إلى الله عزّ وجلّ أوقات يستوحشون فيها من الناس والعمران ويستأنسون بالمفاوز والفلوات، واستروحوا الجبال والمَوْمات، وكان ذلك فعل النبيّ ﷺ في بدء أمره، كلّما ضاق قلبه خرج إلى الصعدات بمكّة، فصلّى في جبالها ٦ وتفرّج ثم رجع إلى مكّة.

وللصوفيّة أيضًا في السياحة طلب العلم ولُقْيا المشايخ وزيارة العارفين والاتّعاظ بمواعظهم وطلب الفوائد منهم وسؤالهم عن حقائق ما أشاروا إليه في تحقيق أسباب ٩ المعارف، وقد قال النبيّ ﷺ: سافروا تغنموا! فأيّ غنيمة أعظم من زيادة الإيقان وتحقيق حقائق الإيمان؟ فالصوفيّة سيّاحون راحلون من بلد إلى بلد ومن برّ إلى بحر ومن سهل إلى جبل، فلا يكون لهم قرار، ولهم في ذلك إشارات خفيّات فإنّهم لا قرار لهم إلى ١٢ أن يلحقوا <به> من غررهم وأسرهم في دار الدنيا، فهناك قرارهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾، فمُستَقَرّ الصوفيّة في: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، وكلّما ذكروا المستقرّ ماجوا واضطربوا وجُنّوا فلا يجدون إلى ذلك في الدنيا ١٥ سبيلاً، فيهيمون على وجوههم من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن قَفْرٍ إلى قَفرٍ ومن جبل إلى جبل.

وحُكي عن بعض أصحابنا أنّه اعتاد لنفسه أن يمشي في كلّ سنة ألف فرسَخ، وكلّما فاته شيء من هذه في السنة استكمله في (٦٤) السنة الثانية. ١٨

وحكي عن ذي النون المصري أنّه كان في بدء أمره يمشي في الشرق والغرب في طلب الزُّهّاد والعارفين، فيأخذ من مواعظهم ويتّعظ بها.

ثم الدخول في البوادي على حكم التوكّل بالتجريد من شأن الصوفيّة، وقد حكي عن ٢١ الدقّي أنّه قال خمسين سنة: كلّما طاب الوقت في السنة لبست فروًا ودخلت البادية،

٤) يستوحشون: يستوحشوا ص ٥) يستأنسون: يستأنسوا ص.

١٠) المعجم المفهرس ٤٦٨/٢.
١٤) القرآن الكريم ١٢/٧٥.
١٤) – ١٥) القرآن الكريم ٥٥/٥٤.
١٩) – ٢٠) راجع تهذيب ابن عساكر ٢٧٤/٥.

فربّما أكلت طول البادية أكلتين، وهذا عامّة سياحة أصحابنا، وقد قال الكتّاني : حكم الفقير أن يكون كلّ يوم في منزل وأن يموت بين المنزلين، فهذا حقيقة سياحة الصوفيّة،
٣ ولهم في السياحة إشارات أمسكتُ عن شرحها، والله يوفّق من يشاء لإدراكها.

(٢٢)
باب
أوطان الصوفيّة

٦ وأمّا أوطان الصوفيّة ومغناهم فبيوت الله تعالى حيث كانوا، وهي المساجد، يجلسون فيها ويرابطون، وأكثر جلوس الصوفيّة في الحضر والسفر في المساجد، وذلك لموافقة أصحاب الصُّفَّة، وقد قال أبو الدَّرْداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : المسجد بيت كلّ
٩ تقيّ، وقد ضمن الله عزّ وجلّ لمن كان المسجد بيته بالرَّوح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله عزّ وجلّ، ورُوي عن سعيد بن المسيّب أنّه قال : إنّ الّذي يجلس في المساجد فإنّما يجالس ربّه عزّ وجلّ.

١٢ فالصوفيّة معروفة بالجلوس في المساجد لأنّهم لا يبنون البيوت، ولا يضعون لبنةً على لبنةٍ، ولا يكونون مرسومين بالدُور إلاّ الأقلّ منهم، لأنّهم غرباء اختاروا مجاورة الله تعالى بالجلوس في بيته، فيروَى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال : قال رسول الله
١٥ ﷺ : إنّ الله عزّ وجلّ ينادي يوم القيامة : أين جيراني؟ فتقول الملائكة : ربّنا ومَن ينبغي أنْ يجاورك؟ فيقول : أين عمّار المساجد؟ فحقيقة العمارة الذكر فيها والمرابطة وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ولقد بلغنا (٦٥) أنّ عيسى ابن مريم صلوات الله عليه وسلامه
١٨ قال لأصحابه : تدرون أين بيتي؟ قالوا : لا يا روح الله! قال : بيتي المسجد وطيبي الماء وأَدمي الجوع.

ثم كان جلوس أصحاب الصُّفَّة في مسجد النبيّ ﷺ، فالصوفيّة وافقوهم بالتباين
٢١ عن أبناء الدنيا لأنّ أبناء الدنيا يكون جلوسهم في الأسواق والمصطبات ويكون لهم المنازل المزخرفة يبنونها فيسكنونها ويتمتّعون بها، فمَصْطبات الصوفيّة الصعدات والمفاوز، كلّما

---

١٣) يكونون : يكونوا ص ١٧) وسلامه : وسلم ص ٢٢) يتمتعون : يتمتعوا ص.

---

١)–٢) اللمع ١٨٩، ١٦، منسوب إلى أبي الحسين المزين.

ضاقت قلوبهم خرجوا إليها لذكر الله عزّ وجلّ والتفرّد في الفُسْحة ، وأوطانهم خير البقاع وهي المساجد يرجعون إليها وهي مقام الذكر ، فهم راجعون من ذكر الله إلى ذكر الله ، وهم خيار عباد الله في جميع أحكامهم رضي الله عنهم . ٣

(٢٣)
باب
جلوس الصوفيّة

وأمّا جلوس الصوفيّة ، فإنّ الصوفيّة معروفة بجلوسها حلقًا كما كان يجلس أصحاب ٦ الصُّفَّة رضي الله عنهم ، ويروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : كنّا في عصابة من المسلمين وإنّ بعضنا ليستتر ببعض من العري ، ومعنا قارئ يقرأ لنا ، فخرج رسول الله ﷺ فقال : ما كنتم تصنعون؟ قلنا : كان قارئ يقرأ علينا فلما رأى سكت ، ٩ فأَومأَ النبيّ ﷺ أن تَحلّقوا ! فتحلّقنا ، ثم قال : الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أمرني ربّي أن أصبر معهم ! ثم قال : أبشروا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التامّ يوم القيامة تدخلون الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم. ١٢

فقد أمر النبيّ ﷺ أصحابه وأومأ إليهم بالجلوس حَلَقًا ، فوافقهم الصوفيّة في جلوسهم ، ثم أشاروا في ذلك إشاراتٍ ، وذلك أنّهم يشيرون في الجلوس إلى الائتلاف والمحبّة والمشابكة والوَصْلة وإلى حقيقة الجمع ونفي التفرقة ، إذ المؤمنون كجسد واحد ١٥ وكالبنيان يشدّ بعضه بعضًا ، وجلوس الصوفيّة حلقًا لموافقة جمع الهمّة لأنّهم حين جلسوا حلقًا صار (٦٦) كلّ واحد مقابل أخيه لئلاّ يحتجب عن رؤيته ، فصاروا بأجمعهم متقابلين ، وإن سكن بعضهم إلى بعض ، فكلّ واحد إلى صاحبه ظاهرًا وباطنًا لئلاّ ١٨ يقطع الشيطان مشابكتهم أو يدخل فيما بينهم ، وفي ذلك من الأثر عن النبيّ ﷺ حين أمر باستواء الصفوف في الصلاة وسدّ الفرجة من بينهم لدخول الشيطان فيما بينهم ، فإشارة الصوفيّة في ذلك إلى حقيقة الاجتماع في الظاهر والباطن ، وجلوسهم موافقة للأثر ٢١ والسُّنّة .

١٤) جلوسهم : جلوسها ص .

(٢٤)
باب
أكل الصوفيّة

٣ وأمّا أكل الصوفيّة ، فإنّهم لا يأكلون إلاّ عن فاقة ، وذلك موافقة للسنّة لقوله ﷺ : أجوع يومين وأشبع يومًا ، والغالب على الصوفيّة الجوع ، ثم يأكلون على الأدب والإيثار ، ويمنعون نفوسهم عن الشَّرَه والأكل بالاختيار ، لأنّهم أهل الإيثار ، قد أثنى الله عزّ
٦ وجلّ على المؤْثِرين على أنفسهم بعد وجود الجهد والخصاصة ، قال الله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ، فالإيثار من أخلاقهم.

وهم في الأكل على ثلاث طبقات : طبقة قد جعلوا لأنفسهم قوتًا معلومًا وآيسوا
٩ أنفسهم من عاداتها لئلاّ تطالبهم في أوقات عادات النفوس ، فهم يرفضون أنفسهم في الأكل ويخالفونها في سائر أحكامها ، وطبقة لا يأخذون الأسباب إلاّ في أوقات الضرورات ، يأكلون ذلك من وقت إلى وقت ، وينتظرون الحقّ في تفاوت أوقاتهم ثم في
١٢ جميع أحكامهم ، وطبقة لا يأكلون إلاّ من الغيب من غير إسراف ولا مسألة ولا طمع ولا تعرّض ، والله عزّ وجلّ يُطعمهم ويسقيهم ، لا يرون الوسائط بل يرون ذلك من المُسَبِّب .

١٥ فالطبقة الأولى أهل تمييز وتدبير ومجاهدة ورياضة ، وهم بالعلم مقيَّدون ، لم يجاوزوا حدَّ الرسوم والعادات ، والطبقة الثانية هم أهل التوكّل ينتظرون أحكام الحقّ وتقديره ، وهم بالحقيقة مقيَّدون ، ليس لهم مراد ولا اختيار ، لا يملكون شيئًا ولا يملكهم شيء ،
١٨ وهم أبناء الوقت (٦٧) يراقبون أسباب الغيب ، والطبقة الثالثة هم أهل الحقّ عزّ وجلّ ، الله يطعمهم ويسقيهم ، قد جاوزوا المقامات ووصلوا إلى حقيقة الكرامات ، تجري الأحكام عليهم بمراد الحقّ وليس لأسبابهم إظهار فيُعرَف أو أحكام فتُوصَف ، بل هم في
٢١ تقليب الحقّ منقلبون ، فبرزقه يعيشون وفي كنفه يلوذون وباختياره يتحرّكون، وكيف تُوصَف أحوالهم والله عزّ وجلّ المحرّك لأحكامهم والمقلِّب لأسبابهم؟

ثم لهم في الأكل آداب خفيّة ومطالبات دقيقة ورسوم شريفة وأحوال كريمة ، فإنّهم

---

٣) للسنة : السنة ص ١٥) – ١٦) يجاوزوا حد : يجاوز احد ص.

---

٧) القرآن الكريم ٥٩/٩.

أقوام تركوا الاختيار أصلاً وأُفنوا عن الحركات الطبيعيّة وصاروا بين متحرّك ومُحرَّك ، فالمتحرّك في جميع أسبابه بالعلم يتحرّك وبه يأكل ويأخذ وأوقاته تشهد بها الشريعة ، والمحرَّك بالوجد يحرَّك ، فبه يأكل ويأخذ ، وأوقاته خفيّة متفاوتة لاستعجامها على رؤية ٣ الناظرين من غيرة الوَجْد ، فيشهد السرّ بحقائقها .

وعامّة حركات الصوفيّة على المحاسبة والرؤية ، فلهم في كلّ حركة مراد إلاّ ما أخفى الحقّ عنهم في وقت الفترات والغفلات ، وفاقات الصوفيّة وضروراتهم قائمة بشرائط ٦ أكلهم ، وقد قال الجُنَيْد بن محمّد رحمة الله عليه : إن الرحمة تنزل على أصحابنا في ثلاثة أوقات : عند الطعام فإنّهم لا يأكلون إلاّ عن فاقة ولا يقومون إلاّ بشكر ، وعند السماع فإنّهم لا يسمعون إلاّ عن حقّ ولا يقومون إلاّ بوجود ومقامات ، وعند الذكْر ٩ فإنّهم لا يذكرون إلاّ أحوال الأنبياء والصدِّيقين .

فهذا حقيقة أكل الصوفيّة وحركاتهم في آداب الأكل وموافقتهم للسنّة بالإيثار والشفقة . ١٢

(٢٥)
باب
إجابة الدعوة للصوفيّة

وأمّا إجابة الدعوة للصوفيّة ، فموافقة للسنّة إذ يقول النبيّ ﷺ : لو دُعيت إلى كُراعٍ ١٥ لأجبت .

وأكل الدعوات من غالب أحوال الصوفيّة لأنّهم أقوام يشيرون (٦٨) إلى ترك المشاغيل في جميع الأسباب ، ولا يرجعون إلى استعداد المأكولات ، ويرون الدعوة برفع ١٨ الأشغال لأنّ الدعوة فيها ثلاث خصال إذا كانت بشرط الإخلاص والديانة والورع : رفع الحساب عنه وحصول الثواب لصاحبه وقلّة الاشتغال بإصلاح المطعوم ، والدعوة سُنَّة

---

١٥) فموافقة : موافقة ص ‖ للسنة : السنة ص ١٩) كانت : كان ص .

٧) – ١٠) راجع كتاب التعرّف ١٩١ ، اللمع ٢٧٢ ، ٧ – ١٠ ؛ Gramlich, Gaben, Kap. 22.8 Meier, Knigge 519.

١٥) – ١٦) المعجم المفهرس ٥/٥٦٠.

المرسلين والنبيّين صلوات الله عليهم ، جَمعت الأنبياء أخلاقًا من السخاوة وحسن الخلق وإطعام الطعام وإشباع الجائع وخدمة الإخوان والبسط مع الأخدان وتحقيق الأُلْفة.

٣ وللصوفيّة في الدعوة إشارة عالية لأنّهم سمعوا الله عزّ وجلّ يقول : ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ ، ولهم في الدعوات تِذكار لأصل الدعوة القائمة من الحقّ لأهل ولايته من المؤمنين.

٦ وتجمع دعوات الصوفيّة أشياء كالمذاكرة وجَرَيان العلم والسماع ، ثم تعقبها أسرة العامّة ورغبتهم في إقامة سنن المرسلين والنبيّين وبذل الطعام لسائر الفقراء من المؤمنين ، ثم من يَرى السلامة في الإمساك عنها لفساد الزمان وللمباهاة بها ووجود أطيب منها بالتنكّب

٩ عنها فله ذلك بشرط الإقرار بها أنّها سنّة مؤكّدة وأمر قديم.

(٢٦)
باب
انبساط الصوفيّة

١٢ وأمّا انبساط الصوفيّة ، فمن طيبة القلب وسهولة الجانب وطَلاقة الوجه وحسن الخلق وكِتمان ما في السرّ من الأحزان وصِيانة الأسرار وموافقة السُّنَّة ، إذ يقول النبيّ ﷺ : أنا أمزح ولا أقول إلاّ حقًّا ، فالحقّ من المزاح ما تعلّق به الانبساط ، وقد كان النبيّ ﷺ

١٥ دائم الأحزان منبسط الظاهر من حسن خلقه وبشاشة وجهه ، وقد قال ﷺ : ألا أنبئكم بأهل الجنّة؟ قالوا : بلَى من هم؟ قال : كلّ ليّن سهل طلق ، فطَلاقة الوجه والبشاشة وبَسْط الوجه ما يتعدّى إلى المؤمنين فيسرّون به وتطيب بذلك قلوبهم ، ونعم

١٨ الصدقة بسط الوجه لأنّ الصوفيّة شغلوا أسرارهم بالحقّ فكتموا (٦٩) فيها ما للحقّ ، فصارت إشارتهم موضع الأحزان ، ثم بذلوا نفوسهم للمؤمنين بحسن البَسْط وبشاشة الوجه وموافقة الناس بالظاهر فيما لا يقوم العلم بحَظْره وتحريمه ، وقد قال النبيّ ﷺ في

٢١ حديث أبي هريرة رضي الله عنه : إنّكم لا تَسَعون الناس بأموالكم فليَسَعْهم منكم بسط

---

١٣) الأحزان : الإخوان ص.

---

٣) – ٤) القرآن الكريم ١٠/٢٥.

وجوهكم وحُسن خُلق.

وللصوفيّة أحوال في الانبساط بعضهم إلى بعض، فأوّلها بَسْط اليدين بالعطيّة، ثم بَسْط الوجه بالبَشاشة، ثم بسط اللسان بالمداعبة والمزاح، ثم بسط الجوارح كلّها لسرور ٣ الإخوان وفرح قلوب الأصحاب، ولا تحمل قلوب الصوفيّة الانبساط إلاّ من الأشكال، ثم من دخل في انبساط العامّة وأفراحهم فذلك من مشاكلتهم في السرّ.

ووجوه الانبساط كثيرة، ولانبساط الصوفيّة نوادر في سائر الأوقات، ولهم في ذلك ٦ أوقات مخصوصة وإخوان معروفة ومَواطن معلومة، وقد قال الجُنَيْد: الانبساط يحتاج إلى ثلاثة أشياء: إخوان ومكان وزمان، وشرط الانبساط أن يكون المنبسط يجد قوّة الإمساك في نفس الانبساط ولا يعتاده بقوّة طبع النفوسيّة، ويكون راجعًا عنه بعده إلى الحقّ عزّ ٩ وجلّ، فمن انبسط بنفسه لنفسه وتحرّك بطبعه لغيره ذهبت مُروّته وقلّت هَيبته وغلبت عليه نفسه، فأدّاه ذلك إلى المكروه من اللهو والمزاح وكان مواريث ذلك ضدّ مواريث انبساط القوم، فإنّ انبساط القوم للأُلْفة وسرور الإخوان، فإذا كان كما وصفتُ صار ١٢ مواريثه عداوةً وغمومًا، وكلّ أمر فبشرطه، فاذا كان من غير شرط زالت عنه الحقيقة وصار وَبالاً على صاحبه وفاعله.

(٢٧)

باب ١٥

سَماع الصوفيّة

وأمّا سماع الصوفيّة، فإنّ الصوفيّة مخصوصة بذلك، فإنّهم لمّا زهدوا في الدار الفانية واختاروا الفقر وبذلوا لله عزّ وجلّ (٧٠) المُهَج واجتهدوا بعد الفرائض في النوافل، فتح ١٨ الله عزّ وجلّ أعين قلوبهم فنظروا بصفاء الهِمَّة وسمعوا بثاقب الفهم وما خوّلهم الله عزّ وجلّ من سابق المعرفة، فتحقّق لهم السماع وأخذوا الإشارة من معاني الغيب واتّبعوا الأحسن من القرآن من حقيقة ما سبق إلى أسرارهم من حقائق المحبّة والأشواق وما أودع ٢١

٦) لانبساط: انبساط ص ١٨) لله: الله ص.

٧) راجع اللمع ٢٧٢، ٣ – ٥؛ Meier, Knigge 519.

الحقّ في أسرارهم من عزيز لطائفه وعجيب مواهبه ، ومن الهداية التي شهد الله بها لأهل الاستماع ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ ،
٣ ثم قال : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .

فالسماع أصل من أصول الصوفيّة تتعلّق به معانٍ كثيرة ، فأوّل ذلك ما قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ مِنْهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ ، وهذا ما تعلّق بما
٦ تقدّم من الهداية في الأصل وهو سماع أهل التوحيد ، ثم سماع الذكر من الحقّ المتعلّق بالأمر والنهي والمواعظ ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا﴾ ، ثم سماع ما افترض الله عزّ وجلّ استماعه وهو كلام الله عزّ وجلّ ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
٩ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ .

فهذه معاني رسوم السماع في أصل ظاهره ، ويتعلّق بكل سماع باطن وبكلّ باطن حقيقة ، فأمّا بواطن السماع ووجوه صروفه وأحكام وروده وذوق وجوده وحقائق شهوده
١٢ فيعرفه أهله ، وهم العارفون من الصوفيّة الذين أشاروا إلى حقائق المعارف وإلى عين الحقيقة ووجود أهل الخالصة .

وللسماع أصل مجمل واسم جامع ، فمنه رسم ومنه سرّ ومنه حقيقة ، لم يقع الاسم في
١٥ الجملة على كلّ ذلك ، فمن السماع ما هو الفَهْم عن الله ، ومنه ما هو ذات المعنى المشار إليه في الحال ، ومنه ما هو نفس القول ، ومنه ما هو جامع في الإشارة ، والسامعون فيه على ثلاث : سامع يسمع بربّه عزّ وجلّ ، (٧١) وسامع يسمع بحاله ، وسامع يسمع
١٨ بعلمه ، فالذي يسمع بربّه عزّ وجلّ فعلى ثلاثة معانٍ : سماع بالحقّ وسماع للحقّ وسماع من الحقّ ، والذي يسمع بحاله فعلى ثلاثة معانٍ : سماع بالحال من غَلَبة الحال ، وسماع في الحال بصحّة وجود الحال ، وسماع بفناء الحال وشاهد معوّل الحال في الحال ، والذي
٢١ يسمع بعلمه فعلى ثلاثة معانٍ : سماع بالعلم المتقدّم قبل السماع ، وسماع في العلم بحقائق

٤) به : بها ص ١٠) فهذه : فهذا ص ١٧) يسمع : سمع ص.

٢) القرآن الكريم ٣٩/١٧ – ١٨.
٣) القرآن الكريم ٣٩/١٨.
٥) القرآن الكريم ٨/٢٣.
٧) القرآن الكريم ٥/١٠٨.
٨) – ٩) القرآن الكريم ٧/٢٠٤.

السماع ، وسماع بخالص علم السماع .

ثم لكلّ سماع من ذلك مواريث ووجود يعرفها الأكياس من الصوفيّة ، وقد أمسكتُ عن شرح ذلك لإطالة الكتاب ، فأمّا وقوع السماع في حضور أسبابه ووجود حرقاته في ٣ أصل ما تقدّم وصفه فثلاث : سماع قلبيّ وسماع روحيّ وسماع نفسيّ ، فأمّا السماع القلبي فيدعو إلى التلَف بصفاء الوَجْد ، وأمّا السماع الروحي فيدعو إلى الجهد بصفاء العلم ، وأمّا السماع النفسي فيدعو إلى الهَوى بمراد النفس . ٦

فالخالص من السماع ما يدعو إلى التلَف والفناء عن حظّ الدارين لتجريد الإشارة إلى التوحيد ، وذلك لأهل التجريد الذين اتّصلت هومهم بالغَيْب ، فمن الغيب سماعهم ومن الغيب شربهم ، والثاني من السماع ما هو للروح يدعو إلى معدن الأرواح إلى ٩ الملكوت ، ويدعو من الجهل إلى العلم ومن الغفلة إلى الذكر ، وذلك لأهل التوحيد الذين صفت أرواحهم ، فالحقيقة قصدهم ومن الملكوت شربهم ، والثالث من السماع ما هو للنفس يدعو إلى الحاضر من الدنيا وإلى الهَوى وحظّ الدار الفانية فتُهَيَّج النفس به ، ١٢ وذلك لأهل التخليط الذين هاجت نفوسهم ، فالطيبة قصدهم ومن الدنيا شربهم .

والسماع مخصوص بأهل الحقائق من الصوفيّة بشرائطه وحقائقه تقدّمت أم تأخّرت ، فالمقدّم شرطه وطلبه بالإخلاص بصفاء همّه ونقاء سرّه وشرح قلبه هو الذي (٧٢) نفا ١٥ عن ظاهره علائق الدنيا ، ففرّقها بجمع همّه حتى فني عن عوائق ما تحويه الجوارح ، ثم أخرج محبّة الزائد عن ظاهره من القلب ففني عن رؤية ما فرّقه وزهد فيه ، ثم في حالة الفناء الثالثة فني عن رؤيته لتركه فجرّد همّه لمصادفة وارد الغيب ، فحينئذ قدّم شرط ١٨ السماع ، وهذه حالة المريد القاصد ، ثم المتأخّر شرطه ، فالذي جرّده الحقّ عن الأغيار ، وأفرد همّه من الأذكار ، وغرّبه في حاضر الدار ، فأفناه عن حظّه ، ثم أفناه عن رؤية فنائه لحظّه ، ثم غيّبه عن الشواهد الرسميّات ، فأوجده في خالص ما له فيه ، فقام بالسماع ٢١ داعيًا إليه بتفاوت الأحكام الجارية من الحقّ عليه ، وصار مقصود الحقّ ومراده .

ثم الذي لم يغيّره وجده ولم يحرّكه سماعه بالطاعات ولم يزجره عن حظوظ النفوس في الدار ، فالسماع عليه لا له ، لأنّه زائد له في هواه وعطبه ، وأوّل شرط السماع بغض ٢٤ الدنيا .

---

٤) السماع : سماع ص ٥) السماع : سماع ص ٦) السماع : سماع ص ٨) اتصلت : اتصل ص
١٦) تحويه : تحويها ص ١٨) الفناء : فناء ص ٢١) بالسماع : السماع ص.

وسئل النوري أبو الحسين النوري رحمة الله عليه عن التصوّف، فقال: بغض الدنيا وحبّ السماع، وحُكي لي عن الجُنَيْد أنّه كان بطور سيناء مع جماعة من أصحابه وقوّال
٣ معهم يقول وهم يتحرّكون ويضطربون ويتواجَدون، فإذا بدَيرانيّ ينادي من صومعته: بالله عليكم أجيبوني! قال، فلَمّا فرغوا وسكتوا قال بعض أصحاب الجُنَيْد: يا أستاذ إنّ دَيرانيًّا يقسم علينا ويدعونا! قال، فأتاه الجُنَيْد وأصحابه وهو في أعلى صومعته، فلمّا
٦ وردوا الصومعة قال الدَّيْرانيّ: أيّمَا منكم أستاذ؟ فأشاروا إلى الجُنَيْد، فقال: يا أستاذ، هذا الذي كنتم تعملون مخصوص في دينكم أم معموم؟ فقال له الجُنَيْد: لا بل مخصوص بشرط الزهد في الدنيا! فقال الدَّيرانيّ: هكذا وجدت في إنجيل عيسى عليه السلام، أن
٩ خواصًّا من أمّة محمّد ﷺ يسمعون ويتحرّكون وهم الزاهدون في الدنيا، (٧٣) ثم ذكر لباسهم وبعض أحوالهم.

فالسماع بشرط الزهد في الدنيا، وهذا من حيث شرائط العلم ورسوم التفرقة، ثم الله
١٢ عزّ وجلّ يُسمع من يشاء، ولكن لا بدّ لمن أسمعه الحقّ في باطنه أن يبعثه بالطاعات في ظاهره ويمنعه عن المعاصي بعزيز غيرته.

وللسماع لنا كتاب مفرد، ولكن هذا موضع التلخيص وهو مجمل، ولكن يعرفه أهله
١٥ ويشهد بذلك وَجْده، ثم يشهد بوجده حقيقته ويشهد بحقيقته علمه ويشهد بعلمه سداد ظاهره.

(٢٨)
باب
وَجْد الصوفيّة ١٨

وأَمّا وَجْد الصوفيّة فمصادفة الغَيب بالغَيب، وتلك حقائق يجدونها في السرّ من الحقّ بلا كيف، وليس لذاتيّة الوَجْد نعت ولا وصف، فإنّ ذلك من حقائق زيادات
٢١ الإيمان.

١٢) أن: دون أن ص ١٩) وتلك: ذلك ص.

١) – ٢) راجع Nicholson, Enquiry 336, Nr. 21
٢) – ١٠) راجع نسيم الأرواح ١٠٠، ١٠، والمقدمة الألمانية.

وأصل الوَجْد في اللغة على ضَربَين : تقول : وجدتَ إذا ملكتَ ووجدتَ إذا لقيت وشهدتَ ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ ، وهذا وَجْد ملك ، وقال عزّ وجلّ : ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ ، معناه : لقوا وشهدوا ، وهذا وَجْد لقاء ، ثم الوَجدان في إشارة الصوفيّة موجودة في حالة الوَجْد ، وذلك وجد المحبّة ، فوجد اللقاء يفقد وجد الملك وفي ذلك إشارة لأهلها.

ولأهل الوَجْد في رسمه سمة لإيصال المعنى الموجود به ، ويكون على ثلاثة أحوال : وَجْد ووُجُود وتَواجُد ، فالوَجْد اسم حال الواجد ، والوجود مصدر فعل الواجد ، والتواجد التفاعل من ذلك لبقيّة نعيم الذكر ، والكلام في كيفيّة الوجد شرك ، ولذلك قال الجُنَيْد رحمة الله عليه : الإخبار عن ذاتيّة الوَجْد شرك ، وإنّما تطلق العبارة في الوَجْد بمواريثه وأحكامه وحقائقه وعلمه وغلَبته وحركاته وإشاراته وحرقاته وزياداته وإفنائه وإبقائه وكشفه وتغيّره وتلوّنه ، فمن ذلك ما يظهر على الجوارح ، ومنها ما يظهر على سِرّ الجوارح وهنّ الحواسّ ، ومنها ما يظهر على الخطّ بتغييره ، ثم منها (٧٤) ما يظهر على القلب بغَلَبته ، ثم منها ما يظهر على السرّ بفنائه إلى أن يصل إلى ما لا يوصف موضعه ولا يغيّر عن مواريده.

فالذي يَهيجُ الوَجْدَ مَعْنَيَانِ : معنى بتجريد التذكار ومعنى بالتذكار ، فالمعنى الأوّل ما هو سابق إلى الأَسرار بمراد الحقّ وعزيز قصده ولطيف كشفه ، والمعنى الثاني لصحّة التذكار والسماع وحقيقة الوسائط والوسائل ، وسئل الجُنَيْد عن الوَجْد ، فقال : انقطاع الأوصاف عند سمة الذات ، فالذات ذات الوَجْد تنقطع الأوصاف دون سمته في حقيقة ذاته ، فإذا فنيت سمة المفني للأوصاف عن واصفه فكيف لا تفنى الشواهد عن واجده وشاهده؟

ثم حقائق الوَجْد في مواريده وشرح وقوعه وغِيَر صروفه وتفاوته في ترتيب الأحوال ما هو ذات المعاملين لله عزّ وجلّ المنقطعين إليه السائرين في عزيز نهجه بترك جميع مشاغيل الدار القاصدين له بإخلاص النيّة وتجريد الطويّة ، وهو ما يحقّق بشاهد الشريعة من الكتاب والسُّنّة.

٤) موجودة : موجودين ص ٦) لأهل : أهل ص ١٩) فنيت : فني ص.

٢) القرآن الكريم ٤/٩٢.
٣) القرآن الكريم ١٨/٤٩.

فأوّل حقيقة الوَجْد ما لم يخرج الواجد عن وَجْد العلم ، وذلك شرطه ، لأنّ العلم شاهد جميع حركات مواريثه ، فأمّا مواريثه فالتغيّر عن أوّل الحال المذموم بغَلَبة الوجد ،
٣ وأمّا أحكامه ، فالزهد في الدنيا وقطع عوائق الظاهر ، وأمّا علمه فلدعوة الحقّ إلى تلَف النفوس ، وأمّا حركاته فهي دالّة على التوحيد ، وأمّا إشاراته فلنسيان الدارين ، وأمّا حرقاته فلدفع الحظوظ محمودها ومذمومها ، وأمّا زياداته فللفداء عمّا قام به من الحال ، وأمّا
٦ فناؤه فلدفع الاختيار بترك الاختيار ، وأمّا بقاؤه فلتجريد الهِمّة وإخلاص السرّ في إفراد المعنَى ، وأمّا كشفه فإقامة الحجّة وبيان سرائر المحجّة ، وأمّا تغيّره وتلوّنه فلمراتب الواجدين فيه .

٩ ثم يوجد أهل الصفاء في الحال حذرًا عن الاستدراج والمَكْر ، ثم حركات الوَجْد منها ما هو عجز البشريّة ومنها ما هو (٧٥) للطهارة ومنها ما يكون للعقوبة ، وتكون الحركات من أَوْجُهٍ شَتَّى : حركة نفسيّة وحركة روحيّة وحركة عجزيّة وحركة قلبيّة وحركة
١٢ سريّة وحركة ضروريّة وحركة مراديّة ، فأمّا النفسيّة فما يكون عادة الطبع برؤية الخلق ، وأمّا الروحيّة فما يكون من الطيبة برؤية العلم ، وأمّا العجزيّة فما يكون من عجز البشريّة عند وارد الحقّ برؤية الضعف ، وأمّا القلبيّة فما يكون من حضور القلب في ساحة القرب
١٥ برؤية المنّة ، وأمّا السرّيّة فما يكون من رَوح وجود صفاء المعنى برؤية العطف ، وأمّا الضروريّة فما يكون من تنعّم الواجد في بحر الحبور برؤية اللطف ، وأمّا المراديّة فما يكون من الحقّ في وجده برؤية الحقّ ، فهذه وجوه وقوع الحركات للصوفيّة في معاني الوجود .

١٨ < خاتمة >

وللصوفيّة أحوال تَكِلُّ الألسنة دونها ولا تقوم العبارة بشرحها ، وإنما رسمتُ كتابي هذا ذريعةً إلى التعرُّف لرسوم الصوفيّة في الظاهر والباطن ولم أُدْنُ فيه إلى إشاراتهم ودقائق
٢١ أسرارهم ، ليكون أقرب إلى أفهام الناظرين فيه ويدركه أهل الظاهر ويقفوا على حقائق الملوك الذين توّجهم الحقّ بتيجان الكرامة وأقامهم على كراسي النظارة وجعلهم أئمّةً في الدين وقدوةً للعالمين من المؤمنين ، وسأذكر من سرائر ما يتكلّم فيه الصوفيّة ووُضع عليه
٢٤ الرسوم في جريان علم الخواطر بعضًا ليعلم العاقل الأديب أنّهم أمسك الناس بالكتاب

---

٤) فهي : مما ص ١٧) فهذه : فهذا ص ٢٢) بتيجان : تيجان ص .

والسُّنَّة في دقائق الإشارات وجلال العبارات الظاهرات، والله وليّ التوفيق وعليه التُكلان.

فأوّل ما أشارت الصوفيّة إليه في إطلاق علمهم وإضافة الأحوال إليه في معانيها من أسماء الله عزّ وجلّ: الحقّ، ثم حقيقة الحقّ، والقيام بالحقّ للحقّ، وقيام الحقّ للحقّ، ٣
ثم أشارت إلى جمع الجمع، (٧٦) وعين الجمع، والجمع والتفرقة، والفرق الثاني بعد الجمع وتفرقة الأسماء، والفناء والبقاء، ثم أشارت إلى المشاهدة، والمراقبة، والحضور، والحِذاء، والقرب، والوصال، والكمال، ووجود الحقّ، ومشاهدة التوحيد، وتجريد ٦
التوحيد، ثم أشارت إلى الوجد، والوجود، والكشف، والغيبوبة، وتحقيق الهمّة، وإفراد الطويّة، ثم تكلّمت في الأحوال المعروفة الموصوفة بلسان الظاهر من التوبة، والمحاسبة، والمفاتشة، والزهد، والورع، والرضى، والصبر، والإرادة، والقصد، ٩
والشكر، والصدق، والإخلاص، واليقين، وغير ذلك مما يكثر تعداده.

فأمّا ما خُصّ به الصوفيّة في معنى إشاراتها من بين أهل الصلاح والزهد والتقوى فما تقدّم ذكره من الأسامي الموضوعة على إشارة الحقّ. ١٢

ثم الخاصّة من العارفين: وإنّما تكلّم الصوفيّة في معانيها بالإشارة والرمز والغيرة والإستار عن غير أهلها إذا كان علمهم لَدُنيًّا وهو سرّ للحقّ من وارد الغيب، ولا يجوز إظهارها إلاّ لأهلها، وإذا كان العلم مستعجمًا بخفيّ الإشارة كان من أراد الله إدراكه ١٥
مدركًا له، ولا يكون لغير أهله فيه نصيب، وقد روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنّه قال: نُهينا عن إظهار هذا العلم لغير أهله كما نُهينا عن الزناء، ولا إقامة لدين الله إلاّ بهذا العلم، ورُوي عنه أنّه قال: إنّ الله عزّ وجلّ فضح من بلّغ سرّه إلى غير أهله، ١٨
وحُكي لي عن أبي العبّاس بن عطاء أنّه قيل له: لِمَ رمزتم بلسانكم واستعملتم الإشارات في علومكم دون التصريح؟ فقال: لأنّ نصون الحقّ من غير أهله، وإنّما ذلك لصيانته وحفظه عن غير أهله، فمن وفّقه الله للتفهّم له استعمل الظاهر من العلم بالإخلاص فيه ٢١
والصدق في حركات الطاعات بنيّة صادقة وعزم قاطع، فعمل بما علم، حتى ورّثه الله علم ما لم يعلم، وأخذ الإشارة (٧٧) من حقائق الطويّات من مواريث المجاهدات، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، فسبيل الخاصّ لأهل الخاصّ ٢٤

---

٢) علمهم: علمها ص ٤) أشارت: اشارة ص ٥) الجمع: جمع ص ١٤) علمهم لدنيًا: علومهم لدني ص.

---

٢٤) القرآن الكريم ٢٩/٦٩.

على ما ذكرتُه يتعلّق بالكتاب والسُّنَّة ، وإن دَقّ وخَفِيَ ، ولكن يعرفه أهله ، وإنّمَا بيّنتُ ذلك شَرَفًا للصوفيّة المجهولة عند أكثر أهل النظر ، وأنّهم القائمون بالكتاب والسُّنَّة في
٣ العقود والنيّات والسكون والحركات والعلوم والإشارات ، فأهل الحقيقة من الصوفيّة ما وصفتُهم وتقدّم ذكرهم وأحوالهم.

فمن ادّعى التصوّف من غير بيّنة فدعواه باطلة وقوله زُور : قال الله عزّ وجلّ :
٦ ﴿أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ ، وتكون دعواه مقرونةً بالبلوى ، فمن ادّعى التصوّف ولم يشهد العلم بظاهر سيره والسنّة بحركات طاعاته والزهد بما في ضميره فاختبره بقرين دعواه ، فإنّ ذلك يفضحه ، وليس لأهل الأطباع والنفوس وأهل الرغبة في الدار الفانية
٩ حقيقة في هذا المعنى ، لأنّ أهل التصوّف قوم آثروا الله على ما سواه ، وقبلوا من الحقّ بلواه ، ورجعوا إليه بمعناه ، فهم باختياره يتحرّكون وبأمره قائمون ، لا يميلون إلى الدنيا ولا إلى أهلها ولا إلى أنفسهم واختيارها ، نظروا إلى الدنيا بعين الزوال ، وإلى أنفسهم بعين
١٢ الفناء ، فشهدوا الحقّ بحقائق الإيقان ومشاهدة الإيمان فَغَيَّبَتهم المُشاهدةُ عن الشواهد كلّها ، فأخذوا عن الله عزّ وجلّ أدب المعاملة وقاموا بحرمة المعرفة على بساط الخدمة ، فمن هناك نطقوا وإلى قرب الحقّ قصدوا ، فعلومهم إشارات ووجودهم خطرات ، وكلّ
١٥ ذلك ما هو خفيّات إلاّ عن العارفين الذين قاموا بشرط الحقيقة وصدق الشريعة ، وكلّ حقيقة لا تتبعها شريعة فهو كفر ، كذا قال أبو سعيد الخرّاز ، وحرام على من أشار إلى علوم التصوّف وعلوم المعاملة وللدنيا (٧٨) في قلبه محبّة وإنْ أكثر من علوم الظواهر ، فإنّ
١٨ علوم التصوّف علم فرائض الله على القلوب ، وعلم سَير القلوب إلى الله تعالى في الغُيوب ، فلا تقوم معه محبّة الغير.

ولله عزّ وجلّ في خاصّ عباده أسرار يأخذون عن الله عزّ وجلّ بالإلهام من غير
٢١ واسطة ، ويعرفون بنور الإلهام أحوال القلوب وخواطر الغيوب.

ثم جميع أهل العلوم المتفرّقة في الظاهر من الفقه والحديث والتفسير والآداب قد خُصّوا بواحد منها ، وكلّهم في طريق الكتاب والسُّنَّة يتمتّعون ويأكلون ويشربون ويجمعون
٢٤ ويزدادون بالحفظ علمًا وبالطلب والدرس والتعلّم زيادةً بعد زيادة ، ويطلبون به عزّ

---

٥) باطلة : باطل ص ٢٣) بواحد : بواحدة ص.

٦) القرآن الكريم ٥٩/١٠.

الدنيا وتعظيم النفوس والرياسة وعظم النفوس ، وعلوم الصوفيّة لا تُدرَك بالطلب الظاهر ، ولا بالكتب والدرس ، فإنّها موهبة يتبعها اكتساب ، وهو بشرط الفقر والبؤس والبلوَى والجهد ، وقد حكي عن مالك بن أنس أنّه سُئل عن مسألة في هذا المعنى ، فقال : إنّ هذا علم يخرج من بين الخِرَقِ والقَمْل .

فأهل التصوّف هم أهل القلوب الذين خُصّ بهم الصدّيقية ، فقاموا بالله لله وأخذوا المعنى عن الله عزّ وجلّ ، فعرفوا بذلك مواريد الأسرار ومواجيد القلوب وعوارض الصدور ، ومن لم يعرف الإلهام من الهواجس واللمّة من الوسوسة ، فتكلّم في علوم الصوفيّة عطب وهلك ، فإنّ أحوال الصوفيّة تَرِد على الأسرار بشاهد عوارض الأربعة : فالإلهام من الله عزّ وجلّ بلا واسطة ، والهاجس من النفس خاصّةً ، واللمّة من المَلَك ، والوسوسة من الشيطان ، ولا يعرف وجود ذلك على كثرة تلوينه وخفيّ التباسه إلاّ من وفّقه الحقّ وصافاه وأخلص له معناه ، فعرف بالملاحظات غوائل ما يشغل عن الحقّ من الدنيا الدنيّة وآفاتها الخفيّة ، وعرف بالخطرات حقائق الأحوال واشتباه المواريد على القلب وما يشغل القلب من العوارض (**٧٩**) المكنونة في طيّ النفوس ، وعرف بالإشارات عزّ حقائق الحقّ الواردة من الغيب إلى الأسرار ، فصار أسير الحقّ في بلاده ، غريبًا بين أكثر عباده ، سفير أولياء الله المريدين يخبرهم بما يشكل عليهم في أحوالهم ، فهم في الدنيا أعزّ من الكبريت الأحمر ، وهم الكبراء العلماء العارفون بالله ، قد قاموا له به في عباده ، فالله يحفظهم في الحركات والسكون والظواهر والمكنون ، ومن كان الحقّ حافظه بالخصوصيّة في طريقه وحفظ سرّه وعرّفه معايب النفوس ومصادر الحسوس ، فنظر بالحقّ للحقّ ، ونطق به له ، وفني عن نفسه له به ، فوقع عليه اسم التصوّف ، وكان مع ذلك كلّه وَجِلاً من مكره ، خائفًا من تقليب قلبه ، مطالبًا في حركاته ، معذّبًا في لحظاته ، ذاهبًا في إشاراته ، مقيمًا على علمه ، مجتهدًا في طريقه ناصحًا لخلقه حافظًا لشرائعه ، ومن كان متسوّقًا في تصرّفه كان عاريةً في تصوّفه ، تزيّن بحلى الأبرار وتحلّى بزيّ الأخيار وأظهر الفقر لأهل الدار ، فنال بذلك عوارض الدنيا وتعلّق بحطامها وأخذ من أظرف أسبابها ، فعاش في الناس وصار دعواه باطلاً وقوله زورًا ، فالفقر خصمه يوم القيامة ، والناس يطالبونه بما رفقوا به ودعواه تلعنه ، ثم إلى الله أمره ، إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه ، وقد حكي عن بعضهم أنّه قال : إنّ أقوامًا من أهل الدعاوى الكاذبة يُجاء بهم يوم القيامة مشهَّرين كاللصوص ، فيُنادى عليهم : إن هؤلاء سرقوا بضاعة

المتّقين ، يعني الفقراء ، فأمّا الصادق في إشارته ، المتحقّق في إرادته ، الزاهد في دنياه ، الراغب في آخرته ، الخالص في معانيه ، المجرّد لتوحيده في إفراد الحقّ ، فسيكون شفيعًا
٣ لأهل الكذب .

والله عزّ وجلّ وليّ الإحسان وذو الطَّول والامتنان ، جعلنا الله عزّ وجلّ من أهل خالصته (٨٠) الذين اختارهم في الأزل وأقامهم على خالص السبيل ، وعصمنا من
٦ افتراء الزور ، وهواجس النفوس ومساوئ الأمور ، إنّه قريب مجيب .

الحمد لله ربّ العالمين وصلواته على نبيّه محمّد وآله أجمعين ، وحسبنا الله وحده ونعم الوكيل .

٩ تمّ الكتاب بعون الله وحسن توفيقه .

مصادر التحقيق

إحياء علوم الدين – إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ١–٤، القاهرة ١٣٥٨/١٩٣٩.

الأربعون لأبي نعيم – كتاب الأربعين على مذهب المتحققين من المتصوفة لأبي نعيم الإصبهاني، مخطوطة الظاهرية، مجمع ٦٤، ٥٠آ–٦٣آ.

الأربعون للسلمي – كتاب الأربعين في التصوّف لأبي عبدالرحمن السلمي، حيدر آباد ١٩٥٠.

الأربعون للماليني – كتاب الأربعين في شيوخ الصوفيّة لأبي سعيد الماليني، مخطوطة الظاهرية، حديث ١/١٦٤، ١–٣٧.

أسد الغابة – أسد الغابة في معرفة الصحابة لعزّ الدين ابن الاثير ١–٧، القاهرة ١٩٧٠.

الاقتصاد – كتاب الاقتصاد لابن خفيف الشيرازي، مخطوطة Princeton 2654 (Mach)

الأنساب – الأنساب للسمعاني، ١–١٢، حيدر آباد ١٣٨٢ – ١٤٠٢ / ١٩٦٦ – ١٩٨٢.

أوراد الأحباب – أوراد الأحباب وفصوص الآداب ليحيى باخرزي، القسم الثاني، تحقيق إيرج أفشار، طهران ١٣٤٥.

البيان – البيان والتبيين للجاحظ، ١–٤، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٣٦٧ – ١٣٧٠/١٩٤٨ – ١٩٥٠.

تأريخ الإسلام – تأريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي، ١–٦، القاهرة ١٣٦٧ الخ.

تأريخ بغداد – تأريخ بغداد للخطيب البغدادي، ١–١٤، القاهرة ١٣٤٩/١٩٣١.

التصفية – التصفية في أحوال المتصوفة لأبي مظفّر العبادي، تحقيق غلام حسين يوسفي، طهران ١٣٤٧.

التعرف – التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي، تحقيق محمود أمين النواوي، القاهرة ١٣٨٨/١٩٦٩.

تلبيس إبليس – تلبيس إبليس لأبي الفرج ابن الجوزي، القاهرة ١٣٤٧.

تهذيب ابن عساكر – تهذيب تأريخ ابن عساكر، ١–٧، تحقيق عبد القادر أفندي بدران، دمشق ١٣٢٩ – ١٣٥١/١٩١١ – ١٩٣٢.

تهذيب التهذيب – تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، ١ – ١٢ ، حيدرآباد ١٣٢٥ – ١٣٢٧ .

حقائق السلمي – حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي ، مخطوطة فاتح ٢٦٢ .

حلية الاولياء – حلية الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني ، ١ – ١٠ ، القاهرة ١٣٥١ – ١٣٥٧ / ١٩٣٢ – ١٩٣٨ .

ختم الأولياء – كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي ، تحقيق عثمان يحيى ، بيروت ١٩٦٥ .

رابعة العدوية – عبدالرحمن بدوي ، شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية ، القاهرة ، دون تأريخ.

رسالة القشيري – الرسالة القشيرية في علم التصوّف لعبدالكريم القشيري ، ١ – ٢ ، تحقيق عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف ، القاهرة ١٩٧٤ .

الرسالة الملامتيّة – الرسالة الملامتيّة لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق أبي العلا عفيفي ، القاهرة ١٣٦٤/١٩٤٥ .

الروح – كتاب الروح لابن القيم الجوزية ، بيروت ١٣٩٥/١٩٧٥ .

رياضة النفس – كتاب رياضة النفس للحكيم الترمذي ، تحقيق عبد المحسن الحسيني ، الإسكندرية ١٩٤٦ .

سير أعلام النبلاء – سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ، ١ – ٢٥ ، بيروت ١٩٨٣ .

سيرتِ ابن خفيف – سيرت ابن خفيف الشيرازي لأبي الحسن الديلمي ، تحقيق A. Schimmel. Ankara 1955.

سيرة الأولياء – كتاب سيرة الأولياء للحكيم الترمذي ، تحقيق Bernd Radtke, in: *Drei Schriften des Theosophen von Tirmiḏ,* 1ff, Beirut 1990.

شذرات الذهب – شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ، ١ – ٨ ، القاهرة ١٣٥٠ – ١٣٥١ .

صفة الصفوة – صفة الصفوة لأبي الفرج ابن الجوزي ، ١ – ٤ ، تحقيق محمود فاخوري ، حلب ١٣٨٩/١٩٦٩ .

الضعفاء – الضعفاء والمتروكون لأبي الحسن الدارقطني ، مخطوطة الظاهرية ، مجمع ٢/١٢٤ .

طبقات ابن سعد – كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد ، ١ – ٩ ، تحقيق E. Sachau, Leiden 1904-1940.

طبقات الشافعيّة – طبقات الشافعيّة الكبرى لتاج الدين السبكي ، ١ – ١٠ ، القاهرة ١٣٨٣/١٩٦٤ الخ .

طبقات الصوفية (أنصاري) – طبقات الصوفية لعبد الله أنصاري، تحقيق عبد الحي حبيبي، كابل ١٣٤٠.

طبقات الصوفية (سلمي) – طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة ١٣٨٩/١٩٦٩.

عوارف المعارف – عوارف المعارف لأبي حفص عمر السهروردي، القاهرة ١٣٥٨/١٩٣٩.

فيض القدير – فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي، ١ – ٦، القاهرة ١٣٥٦ – ١٣٥٧/١٩٣٨.

قوت القلوب – قوت القلوب لأبي طالب المكي، ١ – ٤، القاهرة ١٣٥١/١٩٣٢.

الكرم والجود – كتاب الكرم والجود وسخاء النفوس لمحمد البرجلاني، مخطوطة الظاهرية، مجمع ٣٨، ١٠٤آ – ١١٦آ.

كشف المحجوب – كشف المحجوب لأبي الحسن الجلابي الهجويري، تحقيق V. Shukowsky Teheran 1336/transl. R. Nicholson, London 1959.

اللباب – اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين ابن الأثير، ١–٣، بيروت، دون تأريخ (دار صادر).

لسان الميزان – لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، ١ – ٧، حيدرآباد ١٣٢٩ – ١٣٣١.

اللمع – اللمع في التصوف لأبي نصر السراج، تحقيق R. A. Nicholson, London — Leiden 1914.

مسند أحمد بن حنبل – المسند لأحمد بن حنبل، ١ – ٦، القاهرة ١٣١٣.

المشتبه – المشتبه في الرجال لشمس الدين الذهبي، ١ – ٢، تحقيق على محمد البجاوي، القاهرة ١٩٦٢.

مصباح الهداية – مصباح الهداية ومفتاح الكفاية لمحمود كاشاني، تحقيق جلال الدين همائي، طهران ١٣٢٣.

معجم البلدان – معجم البلدان لياقوت الرومي، ١ – ٦، تحقيق F. Wüstenfeld, Leipzig 1866-70.

المعجم المفهرس – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ١ – ٧، Leiden 1936-1969

مكارم الأخلاق – مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، تحقيق J. A. Bellamy, Wiesbaden 1973 (BI 25).

مقالات الإسلاميين – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري، ١ – ٣، تحقيق H. Ritter, Leipzig 1929-33

ميزان الاعتدال – ميزان الاعتدال لشمس الدين الذهبي ، ١ – ٤ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٣٨٢/١٩٦٢ .

نسيم الأرواح – نسيم الأرواح لأبي عبد الرحمن السلمي ، مخطوطة خانقاهِ أحمدي ٨٣ ، ٩٥ – ١٠٥ (شيراز) .

نشوار المحاضرة – نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ١ – ٨ ، تحقيق عبود الشالجي ، بيروت ١٣٩١ – ١٣٩٣/١٩٧١ – ١٩٧٣ .

نفحات الأنس – نفحات الأنس من حضرات القدس لعبد الرحمن جامي ، تحقيق مهدي توحيدي پور ، طهران ١٣٣٧ .

نهج الخاصّ – كتاب نهج الخاصّ لمعمر الإصبهاني ، مخطوطة خانقاهِ أحمدي ٨٣ ، ١١٧ – ١٢٩ (شيراز) .

الوافي – الوافي بالوفيات للصفدي ، ١–١٨ إلخ ، تحقيق H. Ritter u.a., Leipzig — Beirut 1931—1988 ff.

الولاة – كتاب الولاة وكتاب القضاة لمحمد بن يوسف الكندي ، تحقيق Rhuvon Guest Leiden — London 1912.

الفهارس



فهرس آيات القرآن


Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

فهرس الأحاديث

لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم : ٥١/٤–٥
لو أنّكم تتوكّلون على الله حقّ توكّله لرزقتم كما ترزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا ٣٧/٦–٧
لو دعيت إلى كراع لأجبت : ٦٣/١٥–١٦
ما أوحي إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ، ولكن أوحي إليّ أن... : ٤٠/١١
ما بُعثت تاجرًا ولا زراعًا : ٤٠/١٠
مرحبًا بكم حيّاكم الله جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : ١٨/١٨–١٩
ما كنتم تصنعون : ٦١/٩
المسجد بيت كلّ تقيّ : ٦٠/٨–٩
من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته ، ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى : ١٦/١٧
من أشرب قلبه حبّ الدنيا التاط بثلاث : شقاء لا ينفد عناه ، وحرص لا يبلغ غناه ، وأمل لا يبلغ منتهاه : ١٦/١٨
من تعلّق بشيء وكّل إليه : ١٧/٢٤
من جاهد نفسه لله عزّ وجلّ : ١٨/١٧
من سأل عنّي وسرّه أن ينظر إليّ فلينظر إلى أشعث شاحب : ٧/٥
من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم : ٢٢/٤
المؤمن ملجم : ٢٣/١٧
المؤمن وقاف : ٢٣/٢٠
يا أبا ذرّ ، لو أنّ الناس أخذوا بهذه الآية لكفتهم... : ٣٧/١٠–١١
يا ابن عمر ، كن في الدنيا كأنّك غريب : ٢٨/٢١



فهرس الأعلام والأماكن والبلدان

فهرس الاصطلاحات *

حرف الألف

* تمّ فهرس الاصطلاحات على نمط المعاجم العربية ، أي حسب ترتيب أصول الكلمات.

حرف الباء

(ب – أ – س)

(ب – خ – ل)

(ب – د – ع)

(ب – د – ل)

(ب – د – ن)

(ب – ذ – ل)

(ب – ر – ر)

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

(د – و – ر)

(د – ي – ن)

حرف الذال

(ذ – ك – ر)

حرف الراء

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

